

كتاب اليوم

# تحت خوذة الشيطان



نجيب محفوظ



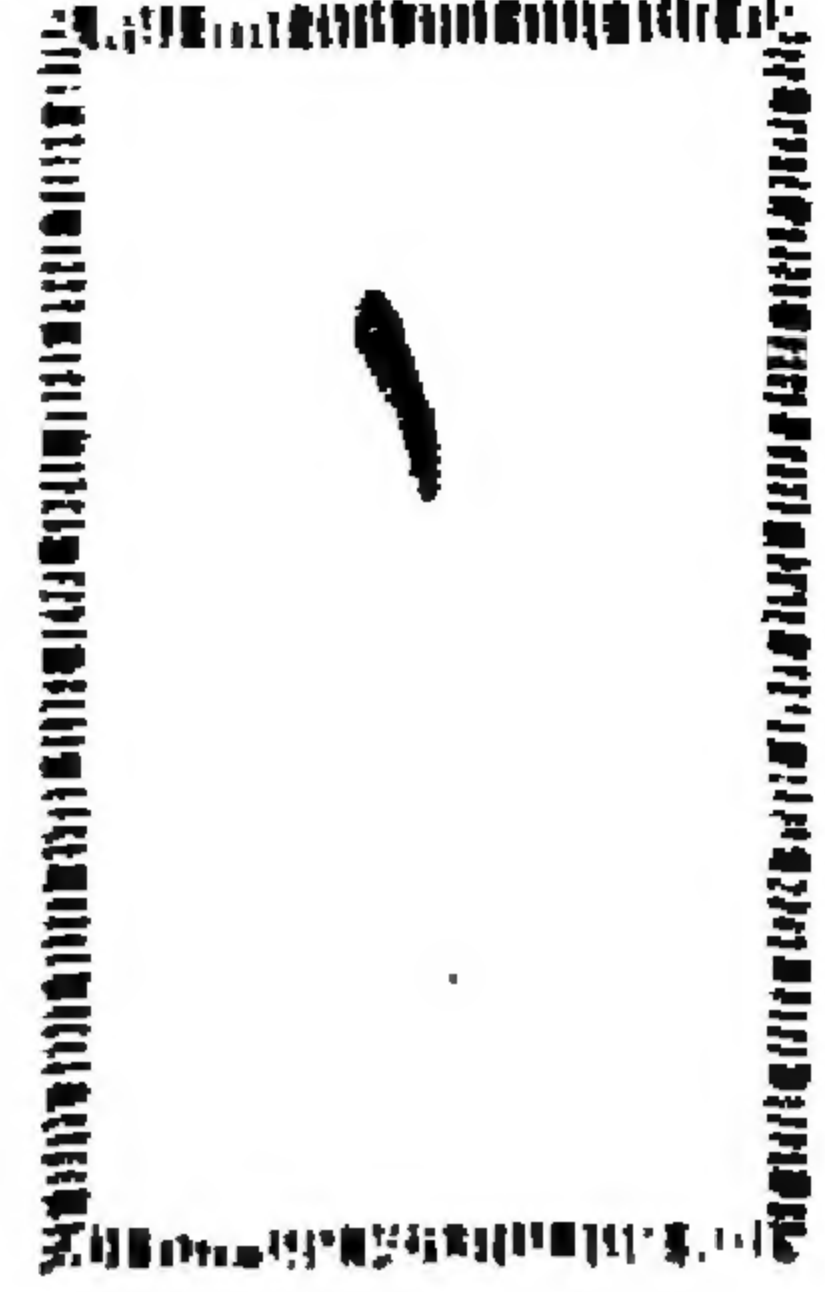


نجيب محفوظ

ترجمة

فوق النيل

**الفلاف**  
**بريشة الفنان**  
**الاستاذ حسين بيكانو**



ابريل ، شهر الغبار والأكاذيب ، الحجرة الطويلة العالية السقف مخزن كئيب  
لدخان السجائر . الملفات تنعم براحة الموت فوق الأرفف ، ويالها من تسلية أن  
تلاحظ المضاعف من جدية مظهره وهو يؤدي عملاً تافهاً . التسجيل في السراكي ،  
الحفظ في الملفات ، الصادر والوارد . النمل والصراصير والعنكبوت ورائحة الغبار  
المتسللة من النوافذ المغلقة . وسأله رئيس القلم :

— هل أتممت البيان المطلوب ؟

فأجاب بلسان متراخ :

— نعم ، ورفعته للمدير العام .

فرماه بنظرة نافذة لاحت كاشعاع بلورى من وراء نظارته السمكية . هل ضبطه  
متلبساً بابتسامة بلهاء غير مبررة ؟ ! . ولكن هذه السخافات يجب أن تساغ في  
ابريل ، شهر الغبار والأكاذيب .

ودبت حركة عجيبة في رئيس القلم فشملت أعضائه الظاهرة فوق المكتب . حركة  
تموجية بطيئة ولكنها ذات أثر حاسم . راح ينتفخ رويداً فيمتد الانتفاخ من الصدر  
الى الرقبة فالى الوجه ثم الرأس . حلق أنيس زكى في رئيسه بعينين جامدتين .  
واذا بالانتفاخ البادى أصلاً بالصدر يتضخم فيزدرد الرقبة والرأس ، ماحياً  
جميع القسمات والملامح ، مكوناً من الرجل فى النهاية كرة ضخمة من اللحم ،  
ويبدو أن وزنه خف بطريقة مذهلة فمضت الكرة تصعد ببطء أول الأمر ثم بسرعة  
متدرجة حتى طارت كمنطاد والتصقت بالسقف وهى تتأرجح . وسأله رئيس  
القلم :

— لماذا تنظر الى السقف يا أنيس أفندى ؟



آه . ها هو يضبطه متلبسا مرة أخرى . ورمقته الأعين باشفاق واستهزاء .  
واهتزت الرءوس في رثاء احتفاء بملاحظة الرئيس وتأييدا لها . واذن فلتشهد  
النجوم على ذلك . حتى الهاموش والضفادع تعامله معاملة أكرم والطف . أما  
الحية الرقطاء فقد أدت خدمة لا تتكرر للملكة مصر القديمة . أنتم وحدكم أيها  
الزملاء لا خير فيكم ، والعزاء عندما نلتمس العزاء في قول ذلك الصديق الذي  
قال : « فلتقم أنت في العوامة ، لن تتكلف مليما واحدا من أيجارها ، عليك أن تعد  
لنا كل شيء » .

وبتصميم مفاجيء راح يسرك مجموعة من الخطابات . السيد المحترم ، إشارة  
الى كتابكم رقم ١٩١١ المؤرخ في ٢ من فبراير ١٩٦٤ وملحقه رقم ٢٠٠٨ المؤرخ في  
٢٨ من مارس ١٩٦٤ أتشرف بالافادة . ومع رائحة الغبار المتسللة ترامت من راديو  
الطريق أغنية « يا أمه القمر على الباب » فتوقفت يده عن الكتابة  
وغمغم : « الله » . فقال زميله الأيمن :

— يا بختك بفراغ البال .

يا أولاد الأقدمية المطلقة ! . في انتظار حلم لن يتحقق تحترفون البهلوانية .  
وأنا بينكم معجزة تخترق الفضاء الخارجي بغير صاروخ .  
ودخل الساعى فسرت في بدنه رعدة رغبة فقال له :  
— واحد سادة .

فأجاب الساعى وهو يقف أمام مكتبه :

— ستجده على مكتبك عندما ترجع من مقابلة سعادة المدير العام .  
غادر الحجرة بقامته الطويلة الضخمة بحكم ضخامة عظامه لا بسبب أى درجة  
من الامتلاء .

في حجرة المدير وقف أمام مكتبه خاشعا ، وظل رأس المدير الأصلع مكبا على  
أوراق يراجعها عارضا لعينييه ظهر قارب مقلوب ، وطارده بالبقية الباقية له من  
ارادته أى خاطر يمكن أن يعيث به فيوقعه في مأزق وخيم العواقب . ورفع الرجل  
وجها مدببا مغضوبا ثم رمقه بنظرة شوكية . أى خطأ يمكن أن يتسرب الى البيان  
الذى نقله بعناية خارقة ؟ ! .

— طلبت منك بيانا مفصلا عن حركة الوارد في الشهر الماضى .

— نعم يا سعادة البك وقد قدمته لسعادتك .

— أهو هذا ؟

نظر الى البيان فقرأ على الغلاف بخط يده « مذكرة عن حركة الوارد خلال شهر

مارس مرفوعة الى السيد مدير عام المحفوظات .

— هو يا أفندم .

— انظر واقرأ . .

رأى أسطرا مكتوبة بوضوح يليها فراغ أبيض ، قلب الأوراق في ذهول ، ثم حلق في وجه المدير العام كالأبله .. قال الرجل بحنق :

— اقرأ .

— سيدى المدير . . لقد كتبتها حرفا حرفا . .

— خبرنى كيف اختفت ؟

— الحق أنه لغز غير قابل للتفسير . .

— ولكن أمامك آثار سن القلم !

— سن القلم ؟

— أعطنى قلمك الساحر !

وتناول القلم بحركة حادة وراح يرسم خطوطا على غلاف البيان ولكنه لم يرسم خطا واحدا .

— ليس به نقطة حبر واحدة !

تجلى الوجوم فى صفحة وجهه العريض فقال المدير بمرارة :

— بدأت بكتابة هذه الأسطر ، ثم فرغ الحبر ، ولكنك استمررت فى الكتابة . .  
لم ينبس بكلمة .

— لم تنتبه الى أن القلم لا يكتب . .

حرك يده حركة حائرة .

— خبرنى يا سيد أنيس كيف أمكن أن يحدث ذلك ؟

أجل كيف . كيف دببت الحياة لأول مرة فى طحالب فجوات الصخور بأعماق المحيط !

— لست أعمى فيما أظن يا سيد أنيس ؟

أحنى رأسه مسبتسلما .

— سأجيب أنا عنك . انك لم تر الصفحة لأنك مسطول !

— يا سعادة . .

— هذه هى الحقيقة ، حقيقة معروفة للجميع حتى السعاة والفراشين ، وأنا

لست واعظا ، ولا ولى أمر ، افعل بنفسك ما تشاء ، ولكن من حقى أن أطالبك بأن تمتنع وقت العمل عن البلبعة . .



— يا سعادة . .

— دعنا من السعادة والتعاسة ، حقق لى هذا الرجاء المتواضع وهو ألا تبلى في

أثناء العمل . .

— يشهد الله أنى مريض !

— انك المريض الأبدى . .

— لا تصدق ما . .

— كفاية أنظر فى عينيك . .

— هو المرض ولا شىء سواه . .

— ما رأيت فى عينيك الا الاحمرار والظلام والثقيل . .

— لا تستمع الى كلام . .

— عيناك تنظران الى الداخل لا الى الخارج كبقية خلق الله . .

ثم ندت عن يديه المغطاتين بشعيرت بيضاء شعثناء حركة وعيد وقال بنبرة

حاددة :

— للصبر حدود ، فلا تستسلم للتدهور بلا حدود ، وأنت رجل فى الأربعين ،

وهى سن العقل فكف عن العبث . .

تراجع خطوتين استعدادا للذهاب فقال الرجل :

— سأخصم من مرتبك يومين فقط ولكن احذر أن تعود .

وسمعه وهو يمضى نحو الباب يقول بازديراء :

— متى تفرق بين الحكومة والغرزة !

و يرجوعه الى الادارة ارتفعت الرؤوس نحوه مستطلعة تجاهلهم وجلس ينظر الى

فنجان القهوة . وشعر بزميله وهو يميل نحوه ليسأل سؤالا فى الغالب فنتمم فى

ضجر :

— كن فى حالك . .

وأخرج من الدرج محبرة وراح يملأ القلم . عليه أن يعد البيان من جديد .

حركة الوارد . لا حركة ألبة فى الحقيقة . حركة دائرية حول محور جامد ، حركة

دائرية تتسلى بالعبث . حركة دائرية ثمرتها الحتمية الدوار . فى غيبوبة الدوار

تختفى جميع الاشياء الثمينة ، من بين هذه الاشياء الطب والعلم والقانون ،

والأهل المنسيون فى القرية الطيبة . والزوجة والابنة الصغيرة تحت غشاء الأرض .

وكلمات مشتعلة بالحماس دفنت تحت ركاب من الثلج . ولم يبق فى الطريق رجل .

وأغلقت الأبواب والنوافذ . وثار الغبار لوقع سنابك الخيل . وصاح الممالك



صبيحات الفرخ في رحلة الرماية . كلما عثروا على آدمى في مرجوش أو الجمالية  
أقاموا منه هدفا لتدريبهم . وتضيع الضحايا وسط هتاف الفرخ المجنون ، وتصرخ  
التكلى : « الرحمة يا مملوك » فينقض عليها الصائد في يوم اللهو ، بردت القهوة  
وتغير مذاقها ومازال المملوك يضحك ملء شذقيه . وحل الصداغ مكان الخيال  
ومازال المملوك يضحك . وهم يطلقون اللحى ويثيرون الغبار . ويفرحون بالأبهة  
والتعذيب .

ودب نشاط مرح في الحجرة القاتمة مؤذنا بوقت الانصراف .





استوت العوامة فوق مياه النيل الرصاصية مألوفة الهيئة كوجه بين فراغ الى اليمين احتلته عوامة دهرًا قبل أن يجرفها التيار ذات يوم ، ومضى الى اليسار مقام على لسان عريض من الشاطئ مطوق بسور من الطين الجاف ومفروش بحصيرة بالية ، دخل أنيس زكى من باب خشبى أبيض يمتد الى جانبه سياج من شجيرات البنفسج والياسمين ، فاستقبله عم عبده الخفير قائما ، يعلو بقامته العملاقة هامة كوخه الطينى المسقوف بالأخشاب وسعف النخيل . ومضى الى الصقالة فوق ممشى مبلط تكتنفه من الناحيتين أرض معشوشبة ، يتوسط يمينها حوض من الجرجير ، وتقوم فى أقصى اليسرى خميلة من اللبلاب ترامت كخلفية لشجرة جواقة فارعة . وانهلأت أشعة الشمس ملحة حامية من خلال سقيفة من أغصان الكافور منطرحه فوق الحديقة الصغيرة من أشجارها المغروسة فى الطريق .

خلع ملابسه ، وجلس بجلبابه الأبيض فوق عتبة الشرفة المطلة على النيل يستقبل نسمة لطيفة ، مستسلما للمسأتها الحانية ، جاريا ببصره فوق الماء المنبسط كأنه مستقر ساكن لا يتموج ولا يتلألأ ، ولكنه موصل جيد لأصوات السكان فى عوامات الشاطئ الآخر فى صفها الطويل تحت أغصان الجازورينا والأكاسيا . وتنهّد بصوت مسموع فسأله عم عبده وهو يعد المائدة الصغيرة الملتصقة بالجدار الأيمن على مبعدة مترين من الفريجيدير النورج .

— خيرا ؟

فتمتم ملتفتا نحوه :

— صادف الكيف جوا فاسدا مقرفا .

— ولكنك تعود آخر الأمر الى جوك الطيب .



دائما ينتزع اعجابه . كشيء ضخم قديم عريق في القدم وبحيوية النظرة المنبثقة من دائرة التجاعيد الصلبة . وربما أرهبه عمق الحفائر . أو هاله الشعر الأبيض الكث البارز من جيب جلبابه كأزهار البلخ . اما جلبابه الدمور المنسدل كغطاء تمثال فينسدل على اللحم بلا عائق . وما اللحم الا جلد على عظم . ولكن أى عظم ؟ ! . هيكل عملاق يتأطع رأسه سقف العوامة . ويشع كونه جاذبية لا تقاوم رمز حقيقى للمقاومة حيال الموت . لذلك يحب كثيرا محادثته رغم أن المعاشرة بينهما لم تجاوز الشهر .

وقام الى السفرة واتخذ مجلسه ، وراح يأكل قطعة من الكوستيليتة ممسكا بطرف الريشة وهو ينظر الى الجدار الخشبي المطلى بغراء سماوى ، ويتابع برصا صغيرا زحف مسرعا فوق الجدار ثم انزوى وراء مفتاح الكهرباء ، وذكره البرص برئيس القلم ولكن لماذا ؟ . وألح عليه سؤال مباغت ترى هل يوجد للمعزدين الله الفاطمى ورثة يمكن أن يطالبوا ذات يوم بملكية القاهرة ؟  
- كم عمرك يا عم عبده ؟

كان يقف وراء البارفان الحاجب للباب الخارجى مطلا عليه من عل كأنه شجرة سرو سارحة فى السحاب ، وابتسم كأنما لم يأخذ السؤال مأخذ الجد :  
- عمى !

فأكد سؤاله بهزة من رأسه وهو يتمطق فعاد العجوز يقول :  
- من أدرانى .

لست خبيرا فى تقدير الأعمار ، ولكن الراجح أنه كان يسعى فوق الأرض قبل أن تغرس أول شجرة فى شارع النيل . ولم يزل قويا بالقياس الى سنه لدرجة تفوق الخيال .

يتفقد الفناطيس ، ويجذب العوامة بحبالها تبعا للأحوال فتطيعه ، ويسقى الزرع ، ويؤم المصلين ، ويحسن الطعام ،  
- هل تعيش وحدك دائما فى الكوخ ؟  
- انه بالكاد يسعنى وحدى . .

- من أى بلد جئت يا عم عبده ؟  
- أووه !

- أليس لك من أقارب فى القاهرة ؟  
- لا أحد . .



— نحن شببهان في ذلك على الأقل ، أما طعامك فلفذف . .  
— تشكر !

— انك تأكل أكثر مما ففوز لشفف فف سنك .  
— أكل ما أستطف أن أهضمه . .

ونظر الى العظام المتلفة من الكوسفلففة وقال ان المفر العام لن فففى منه ذات ففم الا عظام كهذه العظام ، وكم ففد أن ففشه محاسففه ففم الحساب ، وراح ففشر ففزة ففاصلا ففقفقه :

— فف فخدمف فف العوامة ؟

— فف فف بها الى مرساها .

— فف كان ذلك ؟

— أووه . .

— وصاحبها الأول هو صاحبها الففم ؟

— ففابع ففها كففرون .

— وعملك هل فعفبك ؟

أجاب بزهو :

— أنا العوامة ، لأنف أنا الحبال والفناطفس ، واذا سهوف عما ففب لفظة فرفف وفرفها الففار . .

فضحك لا عفرازه الساذف الجذاب بنفسه ، ورفنا الفه فلفا فم سأل :

— ما أهم ففء فف الففنا ؟

— الصفة والعاففة .

ففء فامض سافر فف الافابة أضفكه فوفلا ، وعاف ففأل :

— فف عشقت امرأة آخر مرة ؟

— أووه . .

— وفعد العشق ألم ففد فففا ففرك ؟

— فرة عففف فف الصلاة .

— فمفل صوفك وأفف فوفن . .

فم ففبرة مرفة :

— ولسف فون ذلك فمالا ففن فذهب لفففء بالففف أو فففب لفعود بففاة فف

فففاف اللفل . .



فقهه مائلا برأسه المغطى بطاقية بيضاء الى الوراء ولكنه لم يجب .  
— أليس كذلك ؟

فأجاب وهو يمسح بيده الكبيرة على وجهه :  
— أنا خادم السادة .

كلا . هو العوامة كما قال . الحبال والفناطيس والزرع والطعام والمرأة والأذان .

وقام متأبطا المنشقة فدخل من باب جانبي في ذات الجدار الى الحوض ليفسل يديه ، وعاد وهو يقول لنفسه ان الافراط وحده كان السبب في أن أكثر الخلفاء لم يعمرؤا طويلا .

ورأى عم عبده منهمكا في تنظيف المائدة منحنى الظهر كنخلة مقوسة فسأله مداعبا :

— ألم تر عفريتاً في حياتك ؟

— رأيت كل شيء .

فغمز بعينه متسائلا :

— ألم تسكن أسرة شريفة هذه العوامة أبدا ؟

— أووه . .

— يا خفير اللذات ! لو لم تحب هذه الحياة لهجرتها من أول يوم . .

— لكنى بنيت المصلى بيدي !

ونظر الى الكتب المدفوفة فوق الأرفف التى تشغل الجدار الطويل الى يسار الداخل .

مكتبة التاريخ منذ العصر الخالى حتى عصر الذرة . مجال خياله وكنز أحلامه .  
وتناول كيفما اتفق كتاب ك . ك . عن الرهينة في العصر القبطى ليطالع فيه ساعة أو ساعتين قبل القيلولة كعادته كل يوم . وفرغ عم عبده من عمله فاقترب منه مستطلعا آخر تعليماته قبل أن يذهب . عند ذاك سأله :

— ماذا يجرى في الخارج يا عم عبده ؟

— كالعادة يا سيدى .

— ألا جديد هناك ؟

— لم لا تخرج يا سيدى ؟

— كل يوم أذهب الى الوزارة .

— أعنى أن تخرج للفرجة . .



فضحك قائلاً :

— عيناى تنظران الى الداخل لا الى الخارج كبقية عباد الله !  
وصرفه وهو يوصيه بأن يوقظه قبيل المغرب اذا غلبه النوم .



.. يا خفير اللذات ، لو لم تحب هذه الحياة لهجرتها من أول يوم





أعد المجلس كأحسن ما يكون . صفت الشلت على صورة هلال كبير فيما يلي الشرفة . وفي نقطة من الهلال استوت صينية نحاسية كبيرة ، جمعت الجوزة ولوازمها . وهبط المغيب فوق الأشجار والماء فانتشر في الجو حلم هاديء ، وأبت أسراب الحمام البيضاء تطير ذراعا فوق النيل . تربع أنيس وراء الصينية رانيا الى المغيب بعينين ناعستين ، متذوقا بمودة رائحة الماء الدسمة وملامح الدنيا محافظة على هيئتها بوجه عام ولكن عندما يسرى سحر الفص المذاب في القهوة السادة فسوف تتغير أشياء . ستحل الأشكال المجردة والتكعيبية والسريالية والوحشية مكان الجازورينا والكافور والأكاسيا وعرائس العوامات أما الانسان فيرتد الى العصر الطحلبى ، ولكن ما هى الأسباب التى حولت طائفة من المصريين الى رهبان ؟ .

بل ما هى آخر نكتة سمعتها عن راهب واسكاف ؟ .

وسرت هزة خفيفة فى العوامة بفعل قدم تسير فوق الصقالة فتأهب لاستقبال القادم . أقبلت فتاة معتدلة القامة ذات شعر ذهبي مضت الى الشرفة وهى تحييه بمرح فتمتم :

— أهلا بوزارة الخارجية .

ليلي زيدان صديقة الأعوام العشرة الماضية . عانس فى الخامسة والثلاثين كما ينبغي لرائدة فى فضاء الحرية مرقت من بؤرة محافظة . وأنت لم تمسها ولكن مسها الكبير . هذه التجاعيد الخفيفة كالزغب حول طرف العين والفم ، ومسحة من الجفاف القاسى المقفر لانا لم يترع بماء . ولم تزل بها ملاحه تشتهى فى البشرة الصافية رغم غلظ فى أرنبة الأنف ونذير غامض يزحف مهددا بالخراب ، وكانت فى



عصر خوفو ترعى الغنم فى شبه جزيرة سيناء ولكنها لم تترك أثرا اذ لدغها ثعبان  
أعمى فقضى عليها .

قالت دون أن تلتفت اليه كأنما تخاطب النيل :

— يوم شاق فى الوزارة ، ترجمت عشرين صفحة فولسكاب . .

— وكيف حال السياسة الخارجية ؟

— ماذا تتوقع ؟

— أنا لا أطلب إلا السّتر . .

غادرت موقفها الى أقصى شلّة فى الجناح الأيمن للمجلس ثم جلست وهى

تقول :

— المنظر كما هو كل يوم ، عم عبده جالس فى الحديقة كتمثال ، وأنت هنا تعد

الجوزة !

— ذلك أن على الانسان أن يعمل .

وأذعن لاحساس مترنح فتمثل له المساء بشرا عابثا قد عمر الملايين من السنين .

وراح يعرض بامرأة عابدة للحب ، كلما هجرها محب ارتمت بين أحضان آخر .

وقال ان ذاك سلوك يمكن أن تفسر به أوجه القمر المتتابعة من المحاق الى البدر .

فابتسمت ابتسامة باردة وقالت بسخرية مقلدة نبرته السابقة :

— ذلك أن على المرأة أن تحب !

وغمغمت « وغد » فقرأ فى وجهها نذيرا خفيفا بالغضب ولكنه لم يعثر بأثر

للكراهية فأمن بأنها لا تقاس فى لهوها بامرأة مثل فيكتوريا ملكة العصر المحافظ

المشحون بالتقاليد .

وسألها دون جدية ما :

— لم لا تتخذين منى رفيقا ؟

ولما ألح عليها بعينيّه أجابت :

— انك اذا استعملت الحب يوما كمبتدأ فى جملة مفيدة فستنسى حتما الخبر الى

الأبد !

وتذكرت كم كان متفوقا فى اللغة العربية مثل المدير الذى يشهد له بذلك قراره

بخصم يومين من مرتبه لا لشيء الا لأنه كتب صفحة بيضاء . وكما قالت له ذات يوم

« أنت بلا قلب » فقد ذهب الأصدقاء ولم يبق فى العوامة منهم الا خالد عزوز وليلى

زيدان . ودون أى تمهيد قبض على ساعدها وقال « أنت الليلة لى أنا » لماذا خالد



دائماً ؟ وخالد نفسه ورثك بعد هجر رجب بك . واذن فالليلة لى أنا . وارتفع صوته غاضباً مع أذان الفجر . أذن عم عبده فى الخارج وصرخت أنت كالمجنون فى الداخل . وبسط خالد راحتيه ضارعا وهو يقول « فضحتنا » .

وضحكت ليلى أول الأمر ثم بكّت أخيراً ، وطرحت مسألة غاية فى الفلسفة فقيل انها تحب خالد وانها لذلك لا يمكن أن تدعن لرغبته هو رغم صداقتهما والا كانت بغيا : وصاح ليلتها ان الأذان أيسر على الفهم من تلك الألغاز . وقالت ليلى ناشدة تصفية الجو :

— الصداقة أهم وهى التى لها البقاء .

— ولك طول البقاء !

وكرس كرسيا يدخنانه معا فى فترة الانتظار فجذبت نفسها بشراة ثم سعلت طويلا . وردد ما يقوله عادة من أن الكرسي الأول هو كرسي السعال ثم يجىء الفرج بعد ذلك . وقال لنفسه انه لم يكن عجيبا أن يعبد المصريون فرعون ولكن العجيب أن فرعون آمن حقا بأنه اله .

واهتزت العوامة بقوة وترامت أصوات مختلفة من الخارج ، فنظر نحو المدخل المحجوب بالبارفان فرأى الأصدقاء يتتابعون فى حيوية ، أحمد نصر ، ومصطفى راشد ، وعلى السيد ، وخالد عزوز . . مساء الخير . . مساء الجمال . وجلس خالد الى جانب ليلى أما على السيد فقد ارتمى الى يمين أنيس هاتفا :

— أدركنا . . !

فراح أنيس يكرس ويرص ثم دارت الجوزة . وتساءل مصطفى راشد :

— هل من أخبار عن رجب ؟

افأجاب أنيس وهو يخمن :

— قال بالتليفون انه فى الاستديو وانه سيحضر فور الانتهاء من العمل . وتألقت الجمرات فى المجرمة بفعل النسائم المتدفقة من الشرفة . وبلغ نشاط أنيس أقصى مداه ، واكتسى وجهه الطويل العريض بغبطة مستقرة وقال ان الذى جعل من تاريخ الانسانية مقبرة فاخرة تزدان بها أرفف المكتبات لا يضمن عليها بلحظات مضخة بالمسرة .

ونظر خالد عزوز الى السيد متسائلا :

— هل عند الصحافة من أخبار جديدة ؟

فأوماً على بذقنه نحو ليلى زيدان قائلا :



— عند وزارة الخارجية . .

— ولكنى سمعت أنباء مذهلة حقا . .

فقال أنيس ساخرا :

— لا توجعوا رؤوسنا ، ما أكثر ما نسمع ولكن ها هي الدنيا باقية كما كانت ،

ولا شيء يحدث على الإطلاق . .

فقال مصطفى راشد محركا تفاحة آدم :

— وفضلا عن ذلك فإن الدنيا لا تهمنا كما أننا لا نهم الدنيا في شيء . .

فقال أنيس زكى :

— مادامت الجوزة دائرة فماذا يهمكم ؟

فرمقه خالد بأعجاب قائلا :

— خذوا الحكمة من أفواه المساطيل .

— اسمعوا ما حصل لى اليوم مع المدير العام . .

وآثارت حكاية قلمه عاصفة من الضحك حتى علق عليها على السيد قائلا :

— بمثل ذلك القلم تدون معاهدات السلام . .

واصلت الجوزة دورانها المنغوم المشتعل . وانعقدت هالة من الهاموش حول

مصباح النيون . أما خارج الشرفة فقد استقرت الظلمة واختفى النيل الا أشكالا

هندسية منتظمة وغير منتظمة تعكسها مصابيح الطريق فى الشاطئء الآخر ونوافذ

العوامات المضاعة . وتجلت صليعة المدير العام كظهر قارب مقلوب فى قبضة

الظلام . ووضح تماما أنه من سلالة الهكسوس فوجب أن يرتد الى الصحراء .

وأسوأ ما يمكن أن تتوقع هو أن تنتهى السهرة كما انتهى شباب ليلى زيدان الأول

وكالرماد الزاحف على جواهر الجمرات . ومن يا ترى الرجل الذى قال ان الثورات

يدبرها الدهاة وينفذها الشجعان ثم يكسبها الجبناء ؟

وجاء عم عبده فأخذ الجوزة ليغير ماءها ثم أعادها وذهب دون ان ينبس .

وخلع خالد نظارته الذهبية فمسحها وهو ينوه بأعجابه بالرجل العجوز . وخرج

أحمد نصر عن صمته المؤلف قائلا :

— انه من نسل الديناصور !

فقال مصطفى راشد . .

— لنحمد الله على أنه فى أرذل العمر والا ما ترك لنا امرأة لئنهأ بها . .



وأعاد أنيس على أسماعهم الحديث الذى دار بينه وبين الرجل ظهر اليوم ، فقال على السيد :

— ان العالم فى حاجة الى رجل فى عملاقية لتستقر سياسته . .  
وحل صمت مؤقت فارتفعت قرقرة الجوزة ، وترامى من الخارج نقيق ضفدع وصراخ صرار الليل . ومن خلال الدخان المنتشر استكنت يد ليلي فى يد خالد .  
أصدقاء العمر ، والعزاء . وأنف أحمد نصر الطويل الأبنى لا يضاهيه فى شكله سوى أنف على السيد وان نهض الأخير فى وجه أعرض وأميل للبياض . وتكلم الظلام خارج الشرفة فقال لا تكثرث لشيء . انحدر صوته مع شعاع نجم كابى الاحمرار قطع المسافة الى غررتنا فى مائة مليون سنة ضوئية . وقال أيضا لا تجعل من الحياة عبئا . أجل حتى المدير العام نفسه سيختفى ذات يوم كما اختفى الحبر من قلمك . ولم يعد للقلب من هم يحمله مذ دفن فى التراب أعزما كان يملكه . واذا أردت حقا ارتكاب حماقة للفت الأنظار اليك فتجرد من ثيابك وتبختر فى ميدان الأوبرا . وهناك ستجد ابراهيم باشا فوق جواده وهو يشير الى فندق الكونتنتال كأطرف دعاية للسياحة فى بلادنا .

— هل حقا سنموت يوما ما ؟

— انتظر حتى تذاغ نشرة الأخبار .

— أنيس بك يتفلسف . .

— والحق أنه جاء بسؤال لم يسأله أحد من قبل !

تساءلت ليلي زيدان :

— ما آخر نكته ؟

فأجاب مصطفى راشد :

— لم يعد هناك من نكاتب مذ أصبحت حياتنا نكته سمجة .

ورثنا الى الظلمة خارج الشرفة فرأى حوتا هائلا يقترب فى هدوء من العوامة . انه ليس بأغرب ما رأى فى النيل عند جثوم الليل . لكنه فغرفاه هذه المرة كأنما يعتزم التهام العوامة . وتواصل الحديث بين المساطيل بلا مبالاة فقرر أن ينتظر ما يحدث بلا مبالاة . واذا بالحوث يتوقف عن التقدم . واذا به يغمز بعينه وهو يقول « أنا الحوث الذى نجى يونس » ثم تراجع واختفى . وعند ذاك ضحك أنيس . وسأله ليلي زيدان عما يضحكه فأجاب :



- خيالات غريبة .
- ليلي زيدان عما يضحكه فأجاب :
- خيالات غريبة .
- وما لنا نحن لا نرى شيئاً ؟
- فأجاب وهو لا يكف عن العمل :
- ذلك أن الأمر كما قال الشيخ الكبير « أن المتلفت لا يصل » . وانهاالت
- التعليقات بلا ضابط :
- لا شيخ لنا يا دجال .
- ولا يوجد متر مربع من الأرض بمنجاة من الزلزال .
- وهو لا يخلو كذلك من الرقص والغناء . .
- اذا أردت أن تضحك من القلب حقاً فانظر الى الأرض من فوق .
- يا بخت الذين مستقرهم فوق .
- ولكن بصدور اللائحة المالية الجديدة سيهدأ كل بال .
- هل تطبق اللائحة على الحيوان أيضاً ؟
- روعى فيها أن تنطبق على الحيوان أولاً . .
- وما هو القمر ينتظر المهاجرين .
- وأخشى ما أخشاه أن يضيق الله بنا .
- كما ضاق كل شيء بكل شيء .
- وكما يضيق رجب بعشيقاته . .
- وكما يضيق الضيق بالضيق .
- والحل ، ألا يوجد حل ؟
- بلى ، علينا أن نتماسك حتى نغير وجه الأرض .
- أو نبقى فيما نحن فيه وهو خير وأبقى .
- واهتزت العوامة بقدّم آتية فتوقعوا ظهور رجب ولكن دخلت امرأة مرحة
- الحيوية لا يعيب جسمها الممتلئ الا أن نصفه الأعلى أضخم قليلاً من الأسفل .
- سنية كامل ، . قلبت بينهم عيتين رماديتين وتبادلت معهم القبلات . وأجلسها على
- السيد الى جانبه وهو يقول :
- لم نرك من رمضان الماضى ؟
- قبل يدها مرتين ثم تساءل :







- زيارة عابرة ؟
- فقلت بنبرة تنطق الراء غينا :
- زيارة دائمة .
- هذا يعنى أن زوجك قد هجرك !
- فقلت وهى تتناول الجوزة :
- أو أننى هجرته . .
- ونشت سحابة شرهة وهى تقول اشباعا لحب الاستطلاع الذى اكتنفها :
- ضبطته يغازل جارة جديدة !
- يا خبر أحمر .
- ولعل صوتى حتى سمعه سابع جار !
- براقو . .
- وتركت البيت والأولاد وذهبت الى أختى فى المعادى .
- أمر مؤسف ولكنه ضرورى لتجديد الحياة الزوجية . .
- وأول ما خطر لى بعد ذلك أن أزور عوامتى .
- عين الصواب ، والعين بالعين . .
- واوماً مصطفى راشد الى على السيد وهو يقول لها :
- جاء دور الزوج الاحتياطى . .
- وتساعل أنيس غاضباً :
- لماذا لا يكون دورى أنا هذه المرة ؟
- فقال على السيد ملاطفاً :
- ولكنى احتياطى سنية كامل منذ قديم .
- وأنا . .
- أنت سيدنا وتاج راسنا وولى نعمتنا ، ولو كنت تهتم بالحب لكان لك منه ما تشاء وأكثر . .
- أنت كاذب . .
- فأشار الى الجوزة قائلاً :
- بل لا وقت عندك للحب . .
- أوغاد ! . . سأقص عليكم ما حصل لى مع المدير العام . .
- لكنك قصصته بتفاصيله ، أنسيت يا ولى النعم ؟ !

— أوغاد ، هذا يعنى أن الحياة ستمضى قبل أن نستوعب ما يمر بنا . .  
ودارت الجوزة مختصة سنتية كامل برعاية أكبر بصفتها لم تنسطل من رمضان  
الماضى . وقال أنيس لنفسه انها سمراء وعصبية وتحب الضحك . ولاتنسى أولادها  
حتى فى غيبوبة الحب والسطل . وتعود فى النهاية الى زوجها . لكنها تعاشره عاما  
وتهجره عاما : وتقسم دائما أن الحق عليه . وجاء بها رجب أول مرة . كما جاء  
يوما بليلى زيدان . ذلك أنه اله الجنس وممون عوامتنا بالنساء . عرفت له جدا  
قديمًا كان يسعى فى الغابات قبل أن يقام بناء واحد على ظهر الأرض . كان يدفن فى  
أحضان النساء مخاوفه من الحيوان والظلام والمجهول والموت . كان له رادار فى  
عينيه وراديو فى أذنيه وقنبلة مجسمة فى قبضة يده . وحقق انتصارات عجيبة قبل  
أن يتهاوى هالكا ، أما حفيده رجب . .

واهتزت العوامة وترامى صوت رجب القاضى وهو يقول مخاطبا شخصا معه  
« على مهلك يا عزيزتى . . » .

حل فى نظراتهم الاهتمام فتمتم خالد :

— لعلها ممثلة جاء بها من الاستديو .

وظهر من وراء البارفان بقوامه المشوق وسمرته الداكنة وقسماته الرشيقة  
تقدمه فتاة دون العشرين عمرا ، سمراء ، تنظّم وجهها المستدير قسمات صغيرة  
دقيقة تنطق بالخفة . ولا شك أنه قرأ فى وجوه أصدقائه دهشة لحداثة سنّها فقال  
باسما بنبرته الموسيقية :

— أنسة سناء الرشيدى ، طالبة بكلية الآداب . .





تركزت الأعين على القادمة الجديدة ولكنها لم ترتبك وأجابت بنظرة باسمه جريئة .

وطوق رجب خاصرتها بذراعة وسار بها الى مجلسه فجلس ثم أجلسها الى جانبه وهو يقول :

— أدركنى يا ولى النعم !

فتساءل أحمد :

— أمام الأنسة !

فقال مستنكرا :

— لا يجوز الكذب أمام معجبة صادقة !

وجذب نفسا طويلا عميقا قويا حتى توهجت دقاق الجمرات فوق الكرسي نافثة لسانا راقصا من اللهب . أغمض عينيه تلذذا ثم فتحهما وهو يقول لسانا :

— دعينى أقدم لك الأصدقاء الذين سيصيرون منذ الليلة أسرتك .

وانتبه الى وجود سنية كامل لأول مرة فصافحها بحرارة وخمن أسباب مجيئها فوافقت بضحكة ، ثم راح يقدمها قائلا :

— من بنات الميردى ديبه ، زوجة وأم ، امرأة ممتازة حقا ، وفي أوقات الكدر العائلى تعود الى أصدقائها القدماء ، سيدة مجربة عرفت الأنوثة عذراء وزوجا وأما فهى تعد كنزا من الخبرة للفتيات الصغيرات فى عوامتنا . .

وندت أصوات ضحك ، وابتسمت سناء ، أما سنية فرمته بنظرة احتجاج لم تبلغ درجة الغضب ، وتحول الى ليلي زيدان قائلا :

— أنسة ليلي زيدان ، خريجة الجامعة الأمريكية ، مترجمة بالخارجية ، جمال

وثقافة الى مركز باهر في تاريخ المرأة الرائدة في بلادنا ، وعلى فكرة فان شعرها ذهبى حقيقة لا زيف فيه ولا صباغة . .

وتحول الى أنيس زكى المنهمك في عمله ، قائلاً :

— أنيس زكى ، موظف بوزارة الصحة ، ولى أمر عوامتنا ، وزير شئون الكيف ، رجل مثقف كحضرتك وهذه مكتبته ، وقد طاف بكليات الطب والعلوم والحقوق فمضى بعلومها دون شهاداتها كأي رجل لا تهمة المظاهر ، من أسرة ريفية محترمة ، ولكنه يعيش منذ دهر وحيدا في القاهرة ، كأنه انسان عالمي ولا تسيئ الظن بسكوته اذا لم يحدثك كثيرا فهو يهيم في الملكوت !  
والتفت الى أحمد نصر قائلاً :

— أحمد نصر ، مدير حسابات الشئون ، موظف خطير ، ومرجع في عديد من الخبرات كالبيع والشراء وكثير من الشئون العملية المفيدة ، وله ابنة في مثل سنك ، ولكنه زوج شاذ يستحق الدراسة ، تصورى أنه زوج منذ عشرين عاما ، لم يخن زوجه مرة واحدة ، ولم يمل عشرتها ، ويزداد تعلقا بحياته الزوجية ، لذلك أقترح أن يكون موضع دراسة في المؤتمر الطبى القادم . .  
وأشار الى مصطفى راشد مستطردا :

— الأستاذ مصطفى راشد المحامى المعروف ، محام ناجح وفليسوف أيضا ، متزوج من مفتشة بوزارة التربية ، وهو يتطلع بصدق الى المطلق وسوف ينجح في ادراكه ذات ليلة ، ولكن خذى حذرک منه فهو يقول انه مازال يفتقد حتى اليوم أنموذجه المفضل من النساء . .

وربت على ظهر على السيد قائلاً :

— الأستاذ على السيد ، الناقد الفنى المعروف ، طبعا قرأت له كثيرا ، وأحب أن أخبرك بأنه يحلم كثيرا بمدينة فاضلة خيالية ، أما عن واقعه فهو متزوج من اثنتين ، وصديق سنية كامل ، والبقية تأتى .

وأخيرا أوماً الى خالد عزوز وهو يقول :

— الأستاذ خالد عزوز ، فى الصف الأول من كتاب القصة القصيرة عندنا ، يملك عمارة وفيللا وسيارة وأسهما فى مذهب الفن للفن ، فضلا عن ولد و بنت . ، وله فلسفة خاصة لا أدري كيف أسميها ولكن الاباحية من سماتها الظاهرة . .

وابتسم اليها كاشفا عن أسنان بيضاء نضيدة ثم بتمتم :

— لم يبق من عوامتنا الا عم عبده الذى مررنا بشبحه فى الحديقة ونحن فى



طريقنا الى هنا ، وسوف تعرفينه بطبيعة الحال ، وما من أحد في شارع النيل الا ويعرفه . .

ونادى أنيس عم عبده وأمره بتغيير ماء الجوزة فمضى بها من الباب الجانبى ثم أعادها بعد قليل وذهب ، اتسعت عيننا سناء عجبا لضخامته فقال رجب :  
— من حسن الحظ انه مثال الطاعة والا فلو شاء لأغرقنا جميعا . .

لا خوف من الغرق مادام الحوت في الماء ، ويد الفتاة القاصر صغيرة كيد نابليون ولكن أظافرها حمراء مدببة كمقدم قارب سباق ، وبوجودها تكتمل مجموعة قانون العقوبات المستحقة على عوامتنا .

وها هو الظلام قد بدأ يتكلم .

تساءل مصطفى راشد محركا تفاحة آدم :

— وما تخصص الأنسة في الآداب ؟

فأجابت بنبرة كغزل البنات :

— التاريخ :

فتأوه أنيس :

— الله !

فصاح به رجب :

— ليس تاريخها بتاريخك الدامى ولكنها معنية بالأشياء الحلوة .

— ليس في التاريخ أشياء حلوة .

— كغرام أنطونيو وكليوباترة .

— كان غراما داميا . .

— على أى حال لم يقتصر كله على السيف والحية .

وبدت سناء قلقة . ونظرت نحو البارفان متسائلة :

— ألا تخافون البوليس ؟

فتساءل مصطفى راشد باسم :

— بوليس الآداب ؟

فقالت بعد أن سكت الضحك :

— والمباحث أيضا ؟

فقال على السيد :

— لأننا نخاف البوليس والجيش والانجليز والأمريكان والظاهر والباطن فقد

انتهى بنا الأمر الى ألا نخاف شيئاً . .

— ولكن الباب مفتوح !

— فى الخارج عم عبده وهو كفىل برد أى اعتداء .

وقال لها رجب باسماء :

— لا تقلقى يا نور العين فالدولة منهمكة فى البناء ولديها ما يشغلها عن ازعاجنا .

وقدم لها مصطفى راشد الجوزة قائلاً :

— جربى هذا النوع من الشجاعة .

ولكنها اعتذرت برقة فقال رجب :

— خطوة خطوة ، لقد بدأ الانسان بأظافره وانتهى بالصاروخ لفوا لها سىجارة .

وفى دقيقتين قدمت لها سىجارة فتناولتها بشيء من الحذر ولكنها رشقتها بين

شفتيها . ورمقها أحمد نصر باشفاق فقال أنيس لنفسه أنه يخاف فى الحقيقة على

ابنته . ولو عاشت ابنتى لكانت قرينة لسناء .

ولكن ماقيمة أن تبقى أو أن تذهب . أو أن تعمر كسلحفاء . ولما كان الزمن

التارىخى لا شيء بالقياس الى الزمن الكونى فسثناء معاصرة فى الواقع لحواء . ويوما

ستحمل لنا مياه النيل شيئاً جديداً يستحسن ألا نسميه فقال له صوت الظلام

« أحسنت » . ولا أستبعد أن أسمع ذات ليلة نفس الصوت وهو يأمرنى بعمل

خارق يذهل له من لا يؤمن بالمعجزات . وقد قال العلم فى النجوم كلمته ولكن ماهى

فى الحقيقة الا أفراد عالم أثروا الوحدة فتباعدوا عن بعضهم آلاف السنين

الضوئية . فيا أى شيء أفعل شيئاً فقد طحننا اللاشئ .

وسألها أحمد نصر بحنان :

— وهل تجددين وقتاً للمذاكرة ؟

فأجاب رجب :

— طبعاً ، ولكنها مولعة بالفن أيضاً .

فحذرتة بسبابتها قائلة :

— لا تجعل منى موضوعاً للسمر .

— ويل لمن تحدثه نفسه بشيء من ذلك .

فتساءل أحمد نصر :

— تريدن أن تكونى ممثلة ؟

فابتسمت دون معارضة فاستطرد :



— ولكن . .

فقاطعة رجب :

— اسكت يارجعى ، أن أشنع تهمة في عصرنا هي الرجعية .

وأمسك بأصبعيه ذقنها فأمال وجهها اليه ثم قال وهو يتفحصه باهتمام :

— دعينى أدرس وجهك ، جميل ، تضرر نظرتة قوة خفية ، بلحة مسكرة ذات نواة صلبة ، ونظرة فتاة قاصر ولكنها عند التقطيب تشع دهاء امرأة ، أى دور يصلح لك ؟ ، لعله دور الفتاة في سيناريو لغز البحيرة ! .

سألته باهتمام :

— مادورها على وجه التحديد :

— فتاة بدوية تحب صيادا ماكرا ممن يتخذون من الحب لها ، يستهين بها أول الأمر ولكنها تؤدبه وتمشيه على العجين . .

— هل أصلح له حقا ؟

— انما أنطق عن غريزة فنية يؤمن بها المنتجون والموزعون معا ، لحظة من فضلك ، زمى شفتيك ، أرينى كيف تقبلين ، احذرى الخجل ، الخجل عدو فن التمثيل ، أمام الجميع ، قبلة حقيقية بكل معنى الكلمة ، قبلة يجب أن يتحسن بعدها الموقف الدولى . .

وطوقها بذارعيه القويتين الطويلتين ، وتلاقت شفتاهما بقوة وحرارة في صمت

سكنت فيه الأشياء حتى القرقرة ، ثم صاح مصطفى راشد :

— هذه لمحة من المطلق الذى أرهق نفسى فى البحث عنه . .

وقال خالد عزوز بحماس متدفق :

— أيها السادة ، أهنيكم ، يجب أن نهنىء أنفسنا جميعا ، أن نحى هذه اللحظة الحضارية الرائعة ، والساعة يمكن أن نقول ان الفاشية قد اندحرت تماما ، وأن بديهيات أفليدس قد تلاشت ، فتقبلى ياسناء — بلا ألقاب من الآن فصاعدا — اعجابى . .

ف قالت ليلي زيدان باسمه :

— دع لأحد غيرك الكلام اكراما لى . .

قال متأسفا :

— الغيرة ليست غريزة كما يقول الجاهلون ، ولكنها تراث اقطاعى !

لست بغيا . اللعنة . يارائحة النيل المضمخة بعبير رحلة طينية مرهقة . وثمة

شجرة معمرة في البرازيل استوت على سطح الأرض قبل أن يوجد الهرم ، هل أنا وحدي بين هؤلاء المساطيل الذي يضاحك هذه الموجة المستهترة ؟ . هل أنا وحدي الذي أسمعها وهي تهمس لي أن دق الباب أربعين دقة يتحقق لك ما لا يمكن أن يتحقق ؟ . فمتى ألعب بالمجموعة الشمسية لعب الهواة بالكرة ؟ . وذات يوم دفعت الى معركة دامية وأنا أخلص بين متخاصمين .

ومرق خارج الشرفة خفاش كالرصاصة . وراح يتأمل نقوش الصينية النحاسية المرسومة على هيئة دوائر متداخلة تفصل بينها مساحات محفورة بالترتر قد غشاها الرماد ونفايات المعسل وغفا غفوة قصيرة حيث يجلس ولما فتح عينيه وجد مصطفى راشد وأحمد نصر قد ذهبا . وأغلقت الحجرة المطلة على الحديقة على ليلى وخالد ، والحجرة الوسطى على سنية وعلى السيد ، أما رجب وسناء فقد وقفا في الشرفة يتناجيان . لم تبق خالية الا حجرته وأغلب الظن أنها ستغلق بابها في وجهه هذه الليلة . وتناجى العروسان :

— كلا . .

— كلا ؟ ! ، جواب لا يليق بعصرنا !

— المفروض اننى أذاكر عند صديقة . .

— فليكن الدرس عند صديق !

ومد ساقه فصدم الجوزة فألقاها على جانبها فسال لعابها الأسود وتدفق نحو عتبة الشرفة .

لا أهمية لشيء . حتى الراحة لا معنى لها . ولم يبدع الانسان ما هو أصدق من المهزلة .

وإذا بقامة عم عنده تحجب ضوء المصباح الغارق في الهاموش .

— أن الألوان ؟

— نعم .

ومضى يجمع الأدوات ويكنس النفايات بهمة عالية ، ثم نظر اليه متسائلا :

— متى تذهب الى حجرتك ؟

— فيها عروس جديدة ؟

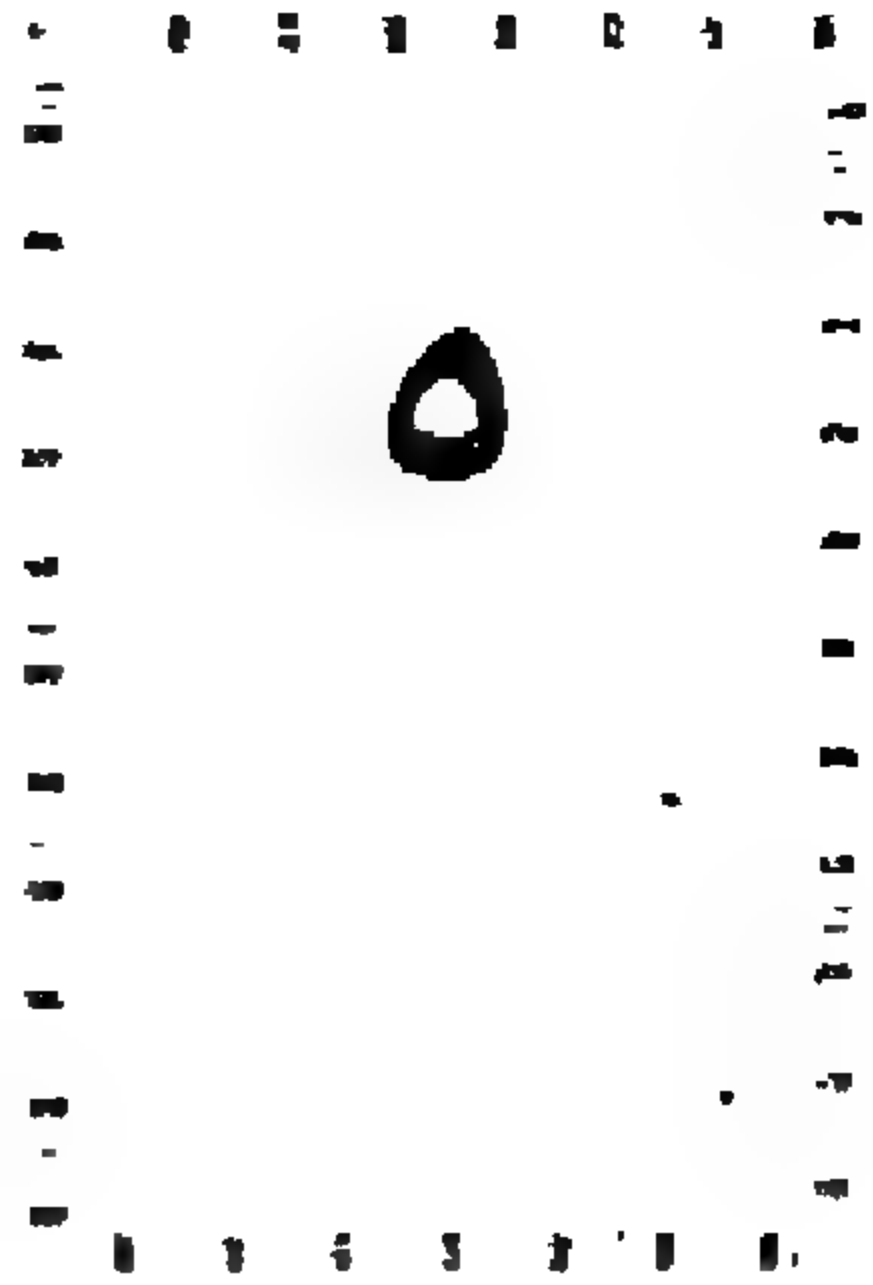
— أووه .

— ألا يعجبك الحال ؟

فضحك قائلا :







استسلم للغروب بجسد منتعش بعد دش بارد . وانتشر في الجو النعاس والهدوء  
الشامل ، وأسراب الحمام ترسم فوق النيل أفقا أبيض . لو في الامكان أن يدعو  
المدير العام الى العوامة لضمن لنفسه هدوءا كالغروب ولاستل من قبضته البرنزية  
أشواكها المؤذية .

وحسا أخرجسوة من الفنجان السادة المزوج بالسحر ولحق بلسانه الرواسب .  
وجاء الأصدقاء تباعا كما جاء رجب وسناء . طيلة أسبوع وهما متلازمان  
وإنست سناء أخيرا الى الجوزة حتى همس أحمد نصر في أذن رجب « البنت  
صغيرة ! » ولكنه أجاب همسا أيضا وهو مرتكز بكوعه على ركبة أنيس « لست أول  
فنان في حياتها ! » . وجعلت ليلي زيدان تردد « الويل لمن تحترم الحب في عصر لا  
يكن للحب احتراما » . ولم يجد أحمد نصر من يفضي اليه بأفكاره المحافظة الا  
أنيس المسالم فمال على أذنه قائلا :

— جميل أن تدعى ساقطة الأمس بفيلسوفه اليوم !  
فأجابه أنيس :

— هذا ما آل اليه حال الفلسفة بصفة عامة .

وفرقع على السيد بأصابعه ملفتا الأنظار اليه ثم قال بجدية :

— على فكرة يجب أن أبلغكم رسالة قبل أن تنسلوا ..

فأتجهت اليه بعض الأنظار فقال بصوت واضح :

— سمارة بهجت ترغب في زيارة العوامة !

استقرت عليه الأبصار في اهتمام شامل ، حتى أنيس نفسه وان لم يكف عن

العمل .



— الصحفية ؟

— زميلتي الجميلة النابهة !

انقضت فترة صمت للاستيعاب والهضم ، وتجلت في الأعين نظرات غامضة حتى تساءل أحمد نصر :

— لكن لماذا ترغب في زيارتنا ؟

— أنا المسئول عن إثارة اهتمامها بكم بأحاديثي العريضة عن العوامة ! فقال رجب القاضي :

— أنت طويل اللسان ولكن اتحب صاحبك العوامات ؟ !

— ليس الأمر كذلك ولكنها تعرف أو تسمع عن أكثر من شخص في العوامة ، أنا مثلاً صديق وزميل ، خالد عزوز من قصصه ، وأنت من أفلامك . .

— أهلاً عندها فكرة عما يدور هنا ؟

— تقريباً ، وجونا ليس بالغريب عليها بحكم عملها وخبرتها بالحياة .

— إذا حكمنا عليها بما تكتب فهي جادة لدرجة الرعب .

— وانها كذلك في الواقع ولكن في كل انسان جانب ينشد العلاقات الانسانية العادية . .

فتساءل أحمد نصر في شيء من الضيق :

— هل لها جولات مماثلة ؟

— أظن ذلك ، هي ودود حقاً وتحب الناس ..

فقال أحمد نصر أيضاً :

— ولكنها ستصادر حريتنا . . .

— لا . . لا . . لا ، لا تحمل هما من هذه الناحية . .

— هل تشاركنا فيما نحن فيه ؟

— الى حد ما ، أعنى في الأمور البريئة . .

— البريئة ! . . هذا يعنى أننا سنكون موضوع تحقيق صحفى !

فقال بتوكيد :

— انها قادمة للتعارف لا لشيء آخر .

لا تهتم بالموضوع أكثر من ذلك وألا ضاع التدخين هباء . وتذكر كيف استقبل الفرس أول نبأ عن الغزو العربى . وابتسم . ورأى على سطح الصينية عديداً من الهاموش الهالك فخطر له أن يسأل :





- أتى أى نوع من الكائنات ينتمى الهاموش ؟
- اعترض السؤال افكارهم فى تطفل مزعج ولكن مصطفى راشد أجاب ساخرا :
- من الحيوانات الثديية .
- واستطرد على السيد قائلا .
- ما على الرسول الا البلاغ ، فاذا لم يرقى لكم دعوتها . .
- لكن رجب قاطعه قائلا :
- لم نسمع رأى الجنس الآخر . . ؟
- ولم تبد ليلي زيدان اعتراضا ، ولا سنية كامل ، أما سناء فقالت :
- لنذع الرأى لأنيس وأحمد ومصطفى فهم فى حاجة الى صديقة !
- ولكن على السيد اعترض قائلا :
- لا . لا يصح التفكير فى ذلك ، لا تخرجونى وحياة أمكم . . فتساءلت سناء وهى تزيح بأنملتها خصلة ضالة عن حاجبها :
- إذن لماذا تود أن تجيء ؟
- قلت ما فيه الكفاية . .
- فتساءل أنيس :
- إذا كان الهاموش من الحيوانات الثديية فما وجه الأصرار على أن صاحبك ليست من ذلك النوع ؟
- فقال على السيد موجهها خطابه للجميع دون توقف عند مقاطعة أنيس :
- حريتكم مكفولة فى كل شئ ، فى القول والفعل ، فى التدخين والبذاءة لا تحقيق ولا دراسة ، ولا أى نوع من المكر الصحفى ، ثقوا بذلك كل الثقة ، ولكن لا يليق أن تعامل معاملة امرأة عابثة !
- فسألته سنية بحدة :
- ماذا تعنى بأمرأة عابثة ؟
- أعنى أنها أنسة فاضلة ، وكأى واحدة منكن ، لا تقبل أن تعامل كامرأة مستهتره . .
- فقال أحمد نصر :
- الحق أنى لا أفهم شيئا . .
- هذا هو المتوقع منك دائما أيها القرن التاسع عشر ، ولكن الجميع يفهموننى بلا صعوبة على الإطلاق . .
- فقال خالد عزوز :

- لعلها رغم مقالاتها الأسبوعية برجوازية قحة .
- ليست من البرجوازية في شيء مما تعنيه . .
- وقال مصطفى راشد :
- قدم لنا عنها فذلكة مفيدة . .
- حسن ، هي في الخامسة والعشرين بقليل ، ليسانس لغة إنجليزية ، وقد حصلت عليه وهي دون العشرين بقليل ، صحيفة ممتازة أكبر بكثير من سنّها ، وذات آمال أدبية ترجو أن تحقق ذات يوم ، ممن يأخذن الحياة مأخذ الجد وأن تكن لطيفة المعشر . ومعروف أنها رفضت زواجا برجوازيا فاخرا رغم مرتبتها الصغير . .
- لماذا ؟
- الرجل دون الأربعين ، مدير مؤسسة ، صاحب عمارة كخالد عزوز ، فضلا عن أنه قريب لها من ناحية الأب ، ولكنها لم تكن تحبه فيما أعتقد . .
- فقال خالد :
- إذا صح الحكم عليها من قلمها فهي فتاة متطرفة . .
- قل أنها تقدمية ، ولكنها صادقة مخلص . .
- هل اعتقلت مرة ؟
- كلا ، إنها زميلتي منذ عينت في مجلة كل شيء .
- لعلها إعتقلت وهي طالبة ؟
- لا أظن ، وإلا كنت عرفتّه في أثناء أحاديثنا الطويلة ، على أي حال لا أقطع في ذلك برأى . .
- ماذا يضطركم إلى إستضافة امرأة خطيرة لا يمكن أن تعدنا بأي تسليّة ؟
- فقلت ليلي زيدان :
- يجب أن تأتي ، نحن في حاجة إلى دم من نوع جديد . .
- فقال علي السيد :
- إتفقوا على رأي ، إنها الآن في النادي فاذا شتّم دعوتها بالتليفون . .
- فسأله أنيس :
- هل أخبرتها بأن الذي يجمعنا ها هنا هو الحوت ؟
- لم يجبه ، ولكنه إقترح أخذ الأصوات .. وضحك أنيس لذكريات محنطة .
- وإقترح أن يدعى عم عبده للأدلاء بصوته . وطوق رجب سناء بذراعيه على حين نهض علي السيد إلى التليفون .



بعد المكالمة التليفونية بنصف ساعة غادر على السيد مجلسه ليستقبل القادمة عند الباب . وما لبثت العوامة أن اهتزت هزتها الأنسيابية لوقع الأقدام الضاربة فوق الصقالة . وتمنى أحمد نصر لو كانوا أخفوا الجوزة وأدواتها حتى تطمئن القلوب إلى الزائرة ولكن رجب القاضى أشار إلى أنيس قائلاً باستهانة :

— كرس ورس . .

ظهرت من وراء البارفان بأسمة الوجه ، وتقدمت — يتبعها على السيد — وهى تتلقى النظرات المركزة فى هدوء ودى ودون إرتباك . وقف الرجال جميعا . حتى أنيس وقف فى جلبابه الأبيض المنحسر عن أسفل ساقيه ، وقام على السيد بالتعريف التقليدى ، وإقترح أحمد نصر أن يجيء لها بكرسى ولكنها رغبت فى الجلوس على شلثة فالتصق رجب — بحركة لا إرادية — بسناء مفسحا لها مكانا إلى جانبه ! . وإستأنف أنيس عمله وهو يسترق إليها النظر . توقع مما سمع أن يرى شيئا غريبا . وهى حقا ذات شخصية ولكن أنوثتها جذابة بلا عائق . ورغم ثقل جفنيه رأى سمرتها المتبدية بلا رتوش . وملامحها واضحة كأناقتها البسيطة ولكن فى نظرتها ذكاء يصد عن إكتناه أغوارها . وخيل إليه أنه راها من قبل ولكن فى أى عصر من العصور الغابرة ؟ . وهل كانت ملكة أو من الرعية ؟ . وعندما إسترق إليها النظر مرة أخرى طالعته بصورة جديدة ! . حاول أن يستوعبها ولكن التركيز أرهقه فحول عينيه إلى الليل .

وأعقب ضجة التعارف والمجاملات المعتادة صمت ، وغنت القرقرة مع شرار الليل . وبلباقة لم تخص سمارة الجوزة بأية نظرة قد تنم عن شيء . ولما إمتدت بها يد أنيس إليها تلتفت الغاب بين شففتيها دون أن تدخن على سبيل التحية ثم أمرتها

إلى رجب ، وتناولها رجب وهو يقول :-

- كوني على راحتك .

فالتفت نحوه قائلة :

- شاهدتك في فيلمك الأخير « شجرة بلا ثمر » وأشهد أنك أديت دورك بتفوق

رائع . .

ولم يكن تواضعه ليخجل من الثناء ولكنه تساءل في حذر

- رأى أم مجاملة ؟

- بل رأى ، وهو رأى الملايين .

ونظر أنيس من خلال الدخان إلى سناء فراها تروض خصلة شعرها المتمردة .

وإبتسم . المدير العام نفسه بما له من سلطة تنص عليها اللائحة العامة للشئون

المالية والإدارية لا يتجاوز إختصاصه شئون الوارد والصادر . وثمة آلاف من

الشهب تتناثر من الكواكب لتحترق وتتبدد منهالة على جو الأرض دون أن تمر

بالأرشيف أو تسجل في دفتر الوارد . أما الألم فقد خص به القلب وحده . .

وإذا بسمارة تقول مخاطبة خالد عزوز :

- أما أنت فأخرا ما قرأت لك اقصوصة الزمار .

ثبت خالد النظارة على عينيه ، فأستطردت :

- الزمار الذي إنقلب مزماره إلى حية تسعى . .

فقال مصطفى راشد :

- وقد إستحق منذ نشرها أن يدعى بحق خالد الحنش !

- قصة غريبة ومثيرة .

فقال على السيد :

- صديقنا نجم مدرسة الفن للفن ، ولا تتوقعى أن ينبثق من عوامتنا فن آخر !

وقال مصطفى راشد :

- وعما قريب سينبثق منها أدب العبث المعروف باللامعقول . . فقال رجب :

- ولكن اللامعقول موجود بيننا بوقرة حتى قبل أن يوجد كفن ، زميلك على السيد

معروف بأحلامه اللامعقولة ، ومصطفى راشد يجزى وراء اللامعقول بأسم

المطلق ، وولى أمر عوامتنا حياته كلها لا معقولة مذهب الدنيا من حوالى عشرين

عاما :

فضحكت سمارة متجاوزة وقارها وقالت :



— أنا شيخة حقا منذ حدثنى قلبى بأنى واجدة عندكم أشياء عجيبة مثيرة !  
فتسائل رجب :

— قلبك الذى حدثك أم وشايات على السيد ؟

— لم يقل إلا خيرا . .

— على ذلك فليست عوامتنا بالوحيدة فى نوعها ؟

— ربما ولكن ما أكثر الناس وما أقل من يصلح للصدقة بينهم .

— تصورت أن الصحفي هو آخر من يقول ذلك . . ؟

— الناس يلقوننا عادة بالوجه الذى يلقبون به الفوتوغرافيا .

فقال خالد عزوز :

— ها نحن نلقاتك بالصدق والفترة البريئة فمتى تبادلينا نفس المعاملة ؟

وهى تضحك :

— إعتبرنى كذلك ، أو فامنحنى أقصر مدة ممكنة .

حمل أنيس المجرمة إلى عتبة الشرفة بعد أن زودها بقطع من الفحم . تعرضت هناك لتيار الهواء وراح ينتظر . وإتسعت المراكز المحترقة فى شتى القطع حتى إستحال سواد الفحم حمرة متوهجة هشة عميقة ناعمة . وإندلعت عشرات من الألسنة الصغيرة الموسومة بالشفق ، فانتشرت ، ثم تلاقت أجنتها مكونة موجة راقصة نقية شفافة مكللة الأطراف بزرقة خيالية ، ثم أزت فتطاير من جوفها سرب من عناقيد الشرر . وصرخت أصوات نسائية فأعاد المجرمة إلى مكانها . وإعترف فيما بينه وبين نفسه بأعجابه غير المحدود بالنار . إنها جمل من الورد والأعشاب والفجر البنفسجى ، فكيف أمكن أن تطوى بين جوانحها أكبر قوة مدمرة ؟ . يجب إذا أسعفتك الهمة أن تقص عليهم قصة الانسان الذى إكتشف النار . ذلك الصديق القديم الذى كان له أنف على السيد وجاذبية رجب القاضى وعملقة عم عبده . وأين ذهبت الفكرة الطريفة التى إعتزمت طرحها للمناقشة عندما حملت إلى الشرفة المجرمة ؟ ! .

وقال مصطفى راشد :

— أنا محام ، والمحامى بطبعه سيىء الظن ، وأكاد أتخيل الآن ما يدور فى رأسك  
عنا . .

— لا شىء فى رأسى مما تظن .

— مقالتك تزخر بالنقد المرير للسلبية ، ونحن يمكن أن نعد — فى نظر البعض —

السلبية نفسها !

— لا . لا ، لا يجوز الحكم على الناس في أوقات فراغهم . . فقال رجب ضاحكا :

— إنها بالاحرى أعمار فراغ !

— لا تذكروني بأنى غريبة عنكم .

فقال أحمد نصر :

— قلة ذوق أن نجعل من أنفسنا موضوعا للحديث بينما إن المهم حقا هو أن نعرف  
عناك مانجهله .

— لست لفزا .

وقال على السيد :

— ومقالات الكاتب تتكفل بالكشف عنه . .

فسجله مصطفى راشد :

— هل تفعل ذلك مقالاتك النقدية ؟

وضج المكان بالضحك . حتى على السيد ضحك طويلا . وقال وما زالت أساريره

ضاحكة :

— إنى أحدكم أيها المنحلون العصريون ومن شابه أصدقاءه فما ظلم ، ولكن هذه  
الفتاة صادقة للأسف !

فقال خالد عزوز :

— كل قلم يكتب عن الاشتراكية على حين تحلم أكثرية الكاتبين بالاقتناء والاثراء  
وليالى الأنس فى المعمورة . .

فتساءلت سمارة :

— هل تناقشون هذه الأمور كثيرا ؟

— كلا ، ولكننا ندفع إليها إذا عرض أحدهم بحالنا .

ونادى أنيس عم عبده فجاء العجوز العملاق ومضى بالجوزة من الباب الجانبى  
ثم رجع بها بعد أن غير ماءها . إنجذبت عينا سمارة إليه طيلة حضوره ثم تمتمت  
عقب إختفائه :

— يا له من عملاق جذاب ! !

وتذكر على السيد أنه الشخص الوحيد من أهل العوامة الذى لم يقدمه لها

فقال :

— هو عملاق حقا ولكنه لا يكاد يتكلم ، يعمل كل شئ ولكنه لا يتكلم إلا فيما ندر ،



ويخيل إلينا كثيرا أنه غارق أبدا في لحظته الراهنة ولكن لا يمكن الجزم في ذلك بشيء قاطع ، وأعجب شيء أنه قد يصدق عليه أى وصف . فهو قوى وهو ضعيف ، وهو موجود وغير موجود ، وهو أمام المصلى المجاور وهو قواد !

فضحكت سمارة طويلا ثم قالت :

— الحق أنى أحببته من أول نظرة !

فقال رجب بتلقائية :

عقبى لنا !

نظرت سناء إلى الليل كالهاربة ولكنه طوق خاصرتها بذراعه كالمعتذر . واقتحمت رأس أنيس تساؤلات شتى ، هل إجتمع هؤلاء الأصدقاء — كما يجتمعون الليلة — بثياب مختلفة في العصر الرومانى ؟ ، وهل شهدوا حريق روما ؟ . ولماذا انفصل القمر عن الأرض جاذبا وراءه الجبال ؟ . ومن من رجال الثورة الفرنسية الذى قتل في الحمام بيد امرأة جميلة ؟ ، وما عدد الذين ماتوا من معاصريه بسبب الأمساك المزمين ؟ . ومتى تشاجر آدم — بعد الهبوط من الجنة — مع حواء لأول مرة ؟ . وهل قات حواء أن تحمله مسئولية المأساة التى صنعتها بيدها ؟ .

ونظرت ليلي زيدان إلى سمارة متسائلة :

— وهل تبقيين دائما فى كامل وعيك ؟

— القهوة والسجائر ولا شيء غيرهما . .

فقال مصطفى راشد :

— أما نحن فقد نسمع مرة عن خطة حاسمة للقضاء على المخدرات فلا ندرى ماذا يمكن أن يبقى لنا . . .  
— لهذه الدرجة !

وذكر رجب بأن لديهم ويسكى أيضا فرحبت بكأس فقام بنفسه وأعد لها . ثم تسائلت عن سر تعلقهم بالجوزة فلم يتطوع أحد بجواب حتى قال على السيد :  
— انها محور جلستنا ، ولا سعادة حقيقية لنا الا فى هذه الجلسة .  
وافقت بهزة من رأسها على أنها جلسة سعيدة حقا ، وإذا بشنية كامل تقول لها :

— لا تهربى . لديك ماتقولينه مما يدخل فى صميم الموضوع .

— لا أريد أن أردد الأكليشيهات المحفوظة ولا أحب أن أسقط كالتمثيليات الهادفة !  
فقال أحمد نصر :

— ولكننا نحب أن نعرف آراءك ؟

— انى أعلنها تباعا كل أسبوع .

ثم تساءلت بعد رشفة من الويسكى :

— ولكن ما أراؤكم أنتم ؟

فقال مصطفى راشد :

— نحن نعمل للرزق في نصف اليوم الأول ، ثم نجتمع بعد ذلك في زورق ليسبح بنا في الملكوت ..

فسألت بأهتمام حقيقى :

— الا يهتمكم حقا شىء مما يدور حولكم ؟

— قد ينفعنا أحيانا كمادة لضحكنا .

ابتسمت ابتسامة غير مصدقة ، فقال مصطفى راشد :

— لعلك تقولين لنفسك انهم مصريون ، انهم عرب ، انهم بشر ، ثم انهم مثقفون ،

فلا يمكن أن يكون هناك حد لهمومهم ، الحق أننا لا مصريون ولا عرب ولا بشر ،

نحن لا ننتمى لشيء الا هذه العوامة ..

ضحكت كما تضحك لنكتة فعاد مصطفى يقول :

— مادامت الفناطيس بحالة جيدة ، والحبال والسلاسل متينة ، وعم عبده ساهرا ،

والجوزة عامرة ، فلا هم لنا ..

— كلام لا يدخل العقل .

— لماذا ؟

تفكرت قليلا ثم تراجعت قائلة :

— لن أستدرج للهاوية ، كلا ، لن أسمح لنفسى بأن أكون ثقيلة الدم كتمثيلية

هادفة ..

فقال على السيد :

— لا تصدقنى كلام مصطفى حرفيا ، لسنا أنانيين بالدرجة التى صورها ، ولكننا

نرى أن السفينة تسير دون حاجة الى رأينا أو معاونتنا ، وأن التفكير بعد ذلك لن

يجدى شيئا ، وربما جر وراءه الكدر وضغط الدم ..

ضغط الدم . كالصنف المغشوش . وطالب الطب يعرض بالزهم أول عهده

بالمدرسة . والمدير العام نفسه ليس أسوأ من المشرحة .

أول يوم في المشرحة . كأول تجربة للموت في أعز ما ملكت . وهذه الزائرة مثيرة



من قبل أن تتكلم . جميلة ورائحتها حلوة ، والليل أكذوبة بما هو نهار سلبي ،  
وعندما يطلع الفجر تخرس الألسنة . ولكن ما الشيء الذي تود تذكره طيلة الجلسة  
دون جدوى ؟ ! .

وقال خالد عزوز مخاطبا سمارة :

— قلمك ذو استعداد أدبي .

— لكنه لم يجرب بعد .

— لاشك أن لديك خطة !

— على أي حال اني مغرمة بالمرح .

فسأل رجب محتجا :

— والسينما ؟

— انها بعيدة عن طموحي .

فقال رجب :

— ما المسرح الا كلام !

فقال مصطفى راشد باسم :

— كعوامتنا سواء بسواء .

فقالت باهتمام :

— العكس هو الصحيح ، المسرح تركيز ، وكل كلمة فيه يجب أن يكون لها معنى . .

— وهذا هو الفارق الجوهرى بينه وبين عوامتنا .

وتلاقت عيناها بعيني أنيس وهو يدير الجوزة فكأنها اكتشفته وقالت له :

— لم لا تتكلم ؟

انها تستدرجك لتقول لك عند الجد « لست بغيا » . وهى تذكرنى بشيء لا

أتذكره . ومن الجائز أن تكون كليوباترا أو المرأة التى تبيع المعسل بدرج

الجماميز . وهى من مواليد برج العقرب . ألا تعلم بأننى على موعد مع فكرة

مجردة ذات طابع جنسى ؟ !

وقال مصطفى راشد معتذرا عنه :

— ان من يعمل لا يتكلم .

— ولم يعمل وحده ؟

— انها هوايته المفضلة وهو لا يسمح لأحد بمساعدته .

وقال رجب القاضى :

- انه ولى أمر عوامتنا ، وندعوه أحيانا بولى النجم ، وأى فارس منا بالقياس اليه  
 هاو مبتدىء فهو لا يفيق أبدا . . .
- على الأقل فهو يجد نفسه مفيقا عقب الاستيقاظ صباحا ؟
- دقائق معدودات يصرخ فيها طالبا القهوة السادة . . .
- فالتحت فى توجيه الخطاب اليه قائلة :
- أجبني بنفسك عما تفعل فى تلك الدقائق ؟
- فقال دون أن يرفع عينيه اليها :
- اتساءل لماذا أحيأ !
- عااااا ، وبماذا تجيب ؟
- أنسطل عادة قبل أن أجد الفرصة .
- وضحكوا أكثر مما يجب وضحك معهم . وقلب عينيه بين النساء من خلال  
 الدخان المتفجر . لا تعكس عين محبة للزائرة . وثمة أسد واحد يلتهم اللحم ويرمى  
 للآخرين بالعظام . وعظام الزائرة الجديدة مترعة بنخاع مزعج . ولكن ما دام  
 الهاموش حيوانا ثدييا فلا خوف علينا . والحق أنه لولا أن الكواكب تدور حول  
 الشمس لتحقق لنا الخلود .
- ونظر رجب فى ساعة يده ثم قال بجدية :
- أن لنا أن نكف عن الهذيان ، الليلة علامة طريق فى حياتنا لأول مرة يشرفنا انسان  
 جاد عنده شئ ليس عند أحد منا ، ومن يدرى فلعلنا مع الأيام نعرف الجواب عن  
 أسئلة كثيرة ظلت حتى اليوم بلا جواب . . .
- فرمقته بحذر متسائلة :
- أفسخر منى يا أستاذ رجب ؟
- معاذ الله ، ولكننى أبنى آمالا على انضمامك الى مجموعتنا !
- وعندى نفس الرغبة ، ولن أضيع فرصة كلما سمح الوقت .
- وتفشيت حركة انهزام مستسلمة فاستعد الجالسون للذهاب . حلت اللعنة التى  
 تجعل لكل شئ نهاية . أهى هذه الفكرة التى استعصت طويلا على الذاكرة ؟ . ولم  
 يبق فى المجرمة الا رماد . وذهبوا تباعا حتى انفرد بوحده . ليلة أخرى تموت .  
 والليل يرامقه خارج الشرفة . وها هو عم عبده يرد المكان الى صورته الأولى .
- رأيت الزائرة الجديدة ؟
- على قد النظر . . .



— يقال انها من رجال البوليس !

— أووه .

ولما هجم الرجل بالذهاب قال له :

— عليك أن تبحث لى عن فتاة مناسبة فى الظلام !

— الليل تأخر وليس فى الطريق شىء . . .

— تحرك أيها البنيان . .

— وقد توضأت لصلاة الفجر .

— اتطمع فى خلود أخلد مما أنت فيه ؟ ! . . تحرك . .

التقط من نافضه عقب سيجارة من السجائر التى دخنتها فى أثناء الجلسة . بقى

منها الفلتر البرتقالى وعقب أبيض مضغوط فتأملها طويلا ثم أعادها الى موضعها

وسط مجموعة من الهاموش الهالك . وتضوع من النيل شذا مائى ذونكهة أنثوية .

وخطر له أن يتسلى بعد النجوم ولكن أعوزته الهمة . اذا لم يكن فى النجوم من يعنى

برصد كوكبنا ودراسة أحوالنا الغريبة فنحن ضائعون . وترى كيف يفسر الراصد

مجلسنا الضاحك ما بين اجتماع شمله حتى تقوضه ؟ . سيقول ثمة تجمعات دقيقة

تنفث غبارا مما يكثُر فى الغلاف الجوى للكواكب وتصدر عنها أصوات مبهمة لا

يمكن فهمها ما دمنا لم نصل بعد الى معرفة أى فكرة عن تكوينها . ويزيد حجم

التجمعات بين مرة وأخرى مما يدل على أنها تتكاثر بطريقة ما ، ذاتية أو خارجية ،

ولذلك فمن غير المستحيل أن يوجد نوع من الحياة البدائية فى ذلك الكوكب البارد

خلافًا للرأى القائل باستحالة وجود حياة فى غير الأجواء النارية ، ومن العجيب أن

هذه التجمعات الدقيقة تختفى لتعود من جديد ويتكرر الحال على ذلك المنوال دون

هدف واضح مما يرجح معه الرأى القائل بعدم وجود حياة بالمعنى الصحيح على

الأقل . وحسر الجلباب عن ساقيه المشمرتين وضحك عاليا ليرى الراصد ويسمع .

وقال بل لنا حياة وقد أوغلنا فى الفهم حتى أدركنا الا معنى لها وسوف نوغل أكثر

فأكثر ولا أحد يستطيع التكهن بما سيكون . ولأن تكون أدهش من يوليوس قيصر

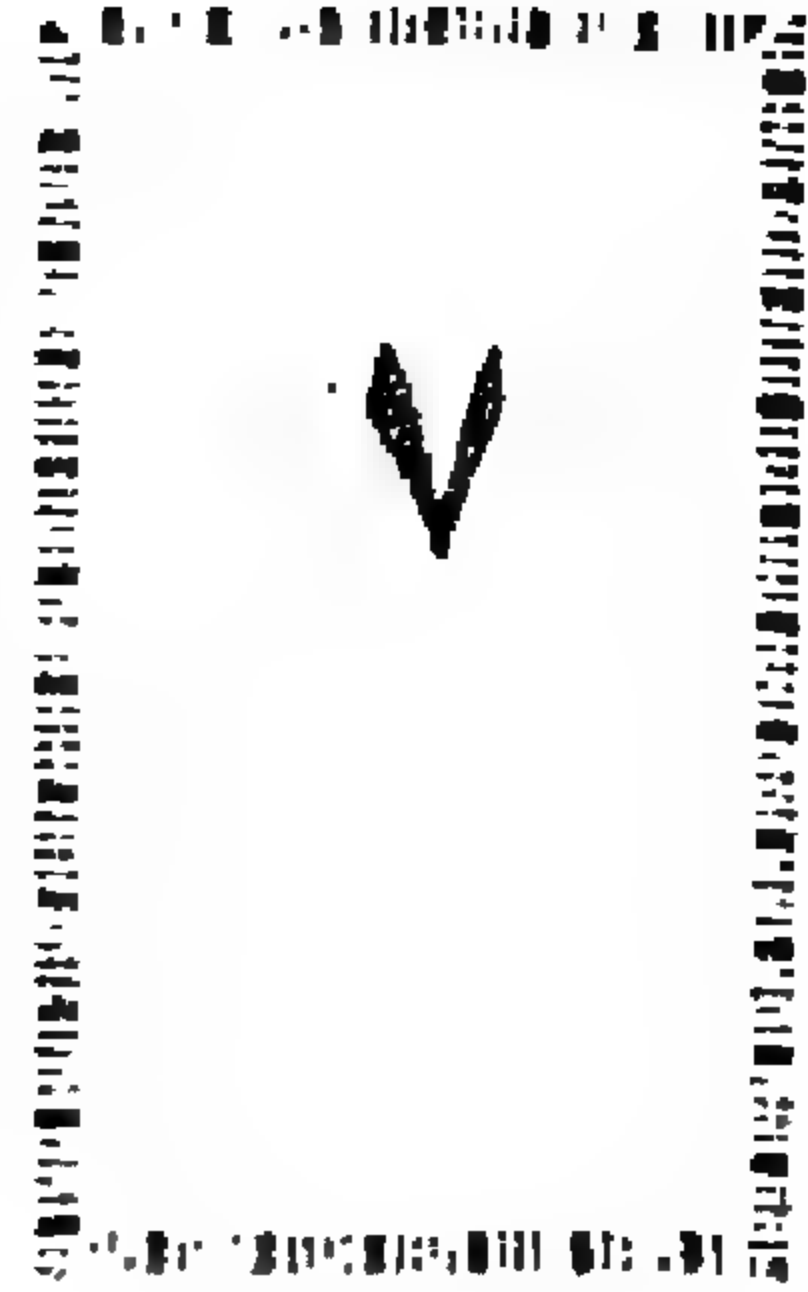
إذ تدبمه الحسناء الخالدة بارزة من البساط المنطوى . ويسأل القائد الذاهل :

— من الفتاة ؟

فتجيب ، مبتلئة ثقة بجمالها :

— كليوباترة ملكة مصر .





اعتمد سور الشرفة بساعديه رانيا الى الغروب الهادئ . والنسيم يلاطفه نافذ من طوق جلبابه ، حاملا اليه فيما يحمل من شذا الماء والنبات صوت عم عبده وهو يوم المصلين غير بعيد من العوامة . ومذاق القهوة السادة مازال يجرى مع ريقه ، أما خياله فلم يتخلص بعد من ابن طولون الذى ساح بعض الوقت - قبيل القيلولة - فى عصره . فى الفترة القصيرة التى تلى احتساء القهوة وتسبق الرحلة يتوقع عادة أن يقع شيء ما فيعابثه حزن غامض لغير ماسبب . ولكن هزة خفيفة رقصت بالعوامة فتساعل عن القادم المبكر وغادر موقفه الى الصلاة عندما ظهرت من وراء البارقان سمارة بهجت . اقتربت منه باسمه وهو ينظر اليها بدهشة حتى تصافحا . اعتذرت عن قدومها المبكر فرحب بها مسرورا بحق ، ومضت الى الشرفة بحماس كأنها تتصل بالنيل اتصالا مباشرا لأول مرة ، وجالت فى نعاس الغروب بعين جذلة ، وتأملت طويلا أشجار الأكسيا أندوزا بأزهارها الملونة بعصير من الحمرة والبنفسج . وتحولت اليه فتبادلا النظر بحب استطلاع من ناحيتها وقليل من الارتباك من ناحيته ، ثم دعاها الى الجلوس ولكنها ذهبت أولا الى المكتبة الى يسار الداخل فجرت على الارفف بنظرات مستطلعة ثم عادت فاتخذت مجلسا الى جانب مجلسه الذى يتوسط الهلال . وجلس بدوره ، ثم رحب مرة أخرى بزيارتها السعيدة المبكرة بعد غيبة أسبوع . وقارن بين ملابسها البسيطة المكونة من قميص أبيض وجونىلا رمادية وبين جلبابه الأبيض ، وقال لنفسه لعله لأسباب تتعلق بمهنتها أو بجديتها أن طوق القميص . ينحسر عن شيء من مشارف ثدييها كالأخريات . وإذا بها تسأله :



— أكنت متزوجا وأبا حقا ؟

وقبل أن يجيب اعتذرت بنبرة متراجعة عن تطفلها قائلة انه خيل اليها مرة أن على السيد ذكر ذلك في معرض حديث عن أصدقائه . وأجاب باحتناء من رأسه ، ولما رأى مزيدا من التطلع في عينيها العسليتين الجميلتين قال :

— وأنا طالب ريفي وحيد بالقاهرة ، وماتت الأم وطفلتها في شهر واحد بمرض واحد . .

ثم استطرد في بساطة موضوعية :

— كان ذلك منذ عشرين عاما . .

وتذكر قصة الذبابة والعنكبوت . وتذكر بضيق أنه لم يكد يبدأ الرحلة بعد . وأشفق من أن يتلقى كلمة رثاء ولكنها أعربت عن مشاعرها بصمت غير قصير ، ثم التفتت نحو المكتبة وقالت :

— وقيل لي انك تدمن التاريخ والثقافة ولكنك فيما أعلم . تكتب . . ؟

رفع حاجبيه العريضين المتناسبين مع صفحة وجهه الطويلة العريضة الشاحبة ، وبدأ مستنكرا أو هازئا فابتسمت ، وتساءلت :

— لم اذن انقطعت عن دراستك ؟

— لم أوفق للنجاح ثم انقطعت عنى الموارد فتوظفت في وزارة الصحة بوساطة طبيب من أساتذتى السابقين . . — لعل العمل . يناسبك ؟

— لست أسقا على شئ . .

ونظر في ساعة يده ، ثم صب قليلا من الكحول من قارورة على الفحم وأشعله بعود ثقاب ثم حمل المجرمة الى عتبة الشرفة ، ولكنها عادت تسأل :

— ألا تشعر بالوحدة أو بأنه . . يجوز أن . .

فقاطعها ضاحكا :

— . وقت عندي لذلك .

فضحكت بدورها قائلة :

— على أى حال أنا سعيدة لأنى وجدتك في وعيك هذه المرة .

— لست في وعيى تماما . .

وتابع نظرتها الى الفحم الآخذ في الاشتعال فابتسم ثم اشار الى فنجال القهوة الذى لم يبق في قعره الا ثمالة من راسبه البنى . وسلمت بالواقع ثم راحت تثنى على الحياة فوق النيل فصارحها بأنه حديث عهد نسبيا بهذه الحياة الجميلة .

- أقمنا في شقق كثيرة ولم نسلم مرة من تطفل الجيران !  
 وإذا به يضحك ضحكة جديدة منقطعة بجوها الطائر عما سبقها فنظرت اليه  
 متسائلة ، فكرر الضحك ، ثم أشار الى رأسه قائلاً :  
 — بدأت الرحلة ! . . وعيناك جميلتان !  
 — ولكن ما العلاقة بين هذا وذاك ؟  
 فقال بتقرير يقينى :  
 — . علاقة بين شئ وشئ . .  
 — ولا حتى بين طلبة رصاصة وموت انسان ؟ !  
 — ولا هذا ، فالرصاصات اختراع معقول ، أما الموت . . ؟  
 فضحكت وقالت :  
 — أتدرى ؟ . . لقد تعمدت أن أجيء مبكرة لأخلو اليك !  
 — لم ؟  
 — . لأنك الوحيد الذى . يكاد يتكلم . .  
 فأعلن رفضه برفع حاجبيه ولكنها أصرت على رأيها قائلة :  
 — حتى لو كنت تتكلم مع نفسك طول الوقت !  
 وفصل بينهما الصمت فراح ينظر الى المساء المتكاثف ، وأدرك أن حضورها  
 المبكر فوت عليه مراقبة المساء وهو يتسلل بخطاه الوئيدة ولكنه لم يأسف على ذلك ،  
 وترامت من الخارج سعدة معروفة لديه فغمغم « عم عبده » فتحدثت عن الرجل  
 باهتمام وطرحت طائفة من الأسئلة ولكنه أجابها بأن الرجل . يمرض ولا يتأثر  
 بالجو ولا يعرف عمره كما يخيل اليه أنه لن يموت . وسألته :  
 — هل تلبون دعوتى اذا دعوتكم الى سميراميس ؟  
 فقال بجزع :  
 — . أظن ، وعنى أنا فهو مستحيل . .  
 وأكد لها أنه . يغادر العوامة ألا الى الأرشييف . فقالت :  
 — يبدو أننى . أعجبك .  
 فقال مدافعا :  
 — انك ألطف من قطر الندى !  
 وفي أثناء ذلك كان الليل قد هبط . ومادت العوامة تحت وقع أقدام كثيرة  
 وارتفعت ضوضاء فوق الصقالة ، وانزعجت سمارة لتأرجح العوامة فقال لها :



— نحن نعيش فوق الماء فتتهتز لوقع أى قدم . .

وتتابع ظهور الأصدقاء من وراء البارفان ، ودهشوا لوجود سمارة ولكنهم رحبوا بها بحرارة ، وفسرت سنية كامل ذلك التبكير تفسيراً من نوع خاص فهنأت أنيس في دعابة ! . وما لبث أن دب النشاط في يديه فدارت الجوزة . وأعد رجب القاضى لسمارة كأساً

من الويسكى . ولحظ أنيس نظرة سناء المتسللة من تحت خصلات شعرها الى سمارة فابتسم . وابتهج كثيراً لتوهج الجمرات . ومد ذراعه بالجوزة الى سمارة فتنحت عنها ولكنه أثار عليها موجه من التحريض الفاشل ، وسكت كل شئ إلا القرقرة . ثم اجتاحت المجلس تعليقات شتى . الطيارات الأمريكية ضربت فيتنام الشماليه . كآزمة كوبا هل تذكرون ؟ ، وأما عن الاشاعات فهي لاتحصى . وهناك الهاويه التى يرقد على حافيتها العالم ، واللحوم والجمعيات التعاونيه ، وهل من جديد عن العمال والفلاحين ؟ . والرشوة والعملة الصعبة ، والاشتراكيه واكتظاظ الطرقات بالسيارات الخاصة ، وقال أنيس لنفسه كل ذلك يستقر فى جوف الجوزة ثم يتبخر دخاناً ، كالملوخيه التى طبخها عم عبده . وشعارنا القديم لولم أكن لتمنيت أن أكون . وعندما يتوهج فى السماء نور كهذه المجرمة يقول المرصد ان نجما قد انفجر وانفجرت بالتالى مجموعته الكوكبيه وانتثر الكل غباراً . وذات مرة تساقط الغبار على سطح الأرض فنشأت الحياة . وتقول لى بعد ذلك سأخضم من مرتبك يومين . او تقول لى لست بغيا . وقد لخص المعرى ذلك فى بيت . اذكره ولا يهمنى ان اذكره . كان اعمى فلم ير سمارة وهى معاصرة له .

— زوجى يسعى للصلح .

— لا سمح الله . .

. . أعمى فلم ير . انقطع الخيط وتبدد شئ بهيج . المهم أن نخافظ على . . على ماذا ؟ . وغدا لدينا عمل مرهق لمناسبة الحساب الختامى . فى معتقل الارشيف . متحف الحشرات أه ' ' ' ' فحيوان ثديى . .

وقالت سمارة :

— لكنك شقراء جميلة بكل معنى الكلمة .

فقال خالد وكان واضحاً أنه يعنى ليلي زيدان :

— مشكلتها الحقيقيه هى مشكلة الوطن كله وهى أنها فتاة عصريه أما الزوج

فبرجوازى . .

نظر الى الليل فرأى مصابيح الشاطىء الآخر تنساب فى باطن النهر كأعمدة من نور . ومن عوامة بعيدة عن مجال البصر حمل النسيم أنغام غناء وموسيقى قلعله عرس كما غنى محمد العربى ليلة دخلتك . شوقوا العجب حببت فلاحه . وقال العم فليحفظك الله وليعمر بيتك بالذرية الصالحة ولكن خذ بالك فلم يبق الا فدانان . ما اجمل القرية عندما تعبق الحديقة بأزهار اللارنج . تسكر كالشذا المنتشر من خلف آذان الهوانم .

— يا له من اقتراح !

قالت سمارة بحماس :

— لكنه جميل وهو تعارف حقيقى لا زيف فيه . .

— ولكن ما المقصود باقتراحك ؟

— أعنى الهم الأول الذى يشغل الشخص

— أهو تحقيق صحفى ؟

— ان داخلكم فى شك فعلى ان اذهب من فورى .

فقال أحمد نصر بحذر :

— اذن فلنبداً بك ، حدثنا عن هتك الأول فى الحياة ؟

لم تفاجأ بالسؤال فيما بدا وقالت ببساطة موحية بالصراحة :

— أهم ما يشغلنى الآن هو أن أجرب نفسى فى كتابة المسرحية . .

فقال مصطفى راشد بخبث :

— المسرحية لا تكتب لغير ما سبب !

جذبت نفساً متمهلاً من السيجارة وهى تضيق عينيها متفكرة مترددة فابتسم

على السيد ابتساماً نمت على مشاركة وجدانيه وقال يشجعها :

— واضح من ان جو عوامتنا لا يتقبل من الحديث الا السخريه والعبث ، ولكنك

فتاة قوية فيما أعتقد وعليك أن تتحدى جونا . .

فأرخت عينيها كأنما تنتظر الى المجرمة وقالت :

— إيكى . الحق أنى أومن بالجديه !

وانهالت الأسئلة . أى جديه ؟ . الجديه لحساب أى شىء ؟ . اليس من الجائز

أن نؤمن بالعبث بجديه ؟ . والجديه تتضمن أن يكون للحياة معنى فما المعنى ؟ .

وضاح رجب :

— أسامكم ساحرة ستحول بقلمها المهزلة الى دراما هادفه ، ولكن هل تؤمنين حقا

بذلك ؟

. - أود ذلك . .

- تكلمى بصراحة ، خبرينى كيف . لا شك أننا نرحب من قلوبنا بهذه المعجزة . .

وتذكروا الأسس العاليه التى استقر عليها المعنى قديما وسلموا بأنها ذهبت الى غير رجعه ، فعلى أى اساس جديد نقيم المعنى ؟ . وقالت بايجاز :  
- ارادة الحياة !

وتبادلوا الأفكار . ارادة الحياة شىء صلب مؤكد ولكنها قد تقضى الى العبث . أجل ما المانع . وهل تكفى لخلق البطل ؟ . ثم ان البطل هو من يضحي بارادة الحياة نفسها فى سبيل شىء آخر هو أسمى فى نظره من الحياة فكيف يتأتى ذلك الشئ العجيب ؟

- ما أعنيه هو أن نتجه عند البحث الى ارادة الحياة نفسها لا الى أساس يتعذر الايمان به ، ارادة الحياة هى التى جعلنا نتشبت بالحياة بالفعل ، ولو انتحرنا بعقولنا ، فهى الأساس المكين المتاح لنا . وقد نسمو به على أنفسنا . .  
فقال مصطفى راشد :

- يمكن تلخيص فلسفتك بأنها تستبدل بشعار « من فوق لتحت » شعار « من تحت لفوق » !

- لا فلسفة هناك ولكن هذا هو همى الأول ، وقد جاء دوركم . .  
عليكم اللعنه . ليس أعدى للكيف من التفكير . وعشرون جوزه كادت تضيع هباء . ولا شىء يبدو راسخ الايمان كشجرة البلخ . كما أن اصرار الهاموش يستحق الاعجاب . ولكن اذا فقدت انات عمر الخيام حرارتها فقل على الراحة السلام . وجميع هؤلاء الساخرين تكوينات ذريه . وها هو كل فرد منهم ينحل الى عدد محدود من الذرات . فقدوا الشكل واللون ، اختلفوا تماما ، ولم يعد منهم شىء يرى بالعين المجردة ، وليس ثمة هناك الا اصوات .

صوت رجب القاضى :

- همى الأول هو الفن .

صوت مصطفى راشد :

- الحقيقه أن همه الأول هو الحب ، أو بالأحرى النساء !

صوت سمارة فى نبرة مرتابة :

- أهذا هو همك حقا ؟



— بلا زيادة ولا نقصان . .

واستدرج صوتهها صوت على السيد للإجابة فقال :

— همى الأول هو النقد الفنى !

صوت مصطفى راشد متهمًا :

— كلام فارغ ، همه الحقيقى هو الحلم ، الحلم فى ذاته بصرف النظر عن

محتواه ، أما النقد فهو لا ينقد الا مجاملة لصديق أو هجوما على عدو أو لانتزاز

قدر من المال !

— ولكن كيف يريد للحلم أن يتحقق ؟

— لايهمه ذلك ألبته ، ولكن اذا جادت الجوزة بالنعيم دعك أنفه الهائل وقال

تأملوا يا اولاد المسافة التى قطعها الانسان من الكهف الى الفضاء ! . يا اولاد الزنا

سوف تلهون بين النجوم كالآلهه . .

واتجه التحقيق نحو أحمد نصر فتردد صوته قائلا :

— همى الأول هو الستر !

صوت مصطفى راشد متطفلا :

— هذا الرجل له شأن آخر ، هو مثلا مسلم ! ، يصلى ويصوم وزوج مثالى يقف

من نساء العوامه موقف المصريين من الاحداث ، ولعل همه الأول هو أن تتزوج

كريمته !

صوت خالد عزوز :

— هو الوحيد فينا الذى سيعيش بعد الموت . .

وضاق أنيس بوحديثه الصاخبة فنادى عم عبده ليغير ماء الجوزة . وتمثل

العملاق فى لحظات حضوره كالوجود الوحيد فى خلاء صوتى . وصوت قال ان همه

الأول هو التذكر . وآخر قال بل ان همه هو النسيان . وساءل أنيس نفسه لماذا

وقف التتار عند الحدود ؟ !

وهتف صوت ليلي زيدان :

— لاهم لى !

صوت خالد عزوز :

— أو أننى همها الأول !

وصوت سنيه كامل قال :

— همى ان يطلقنى زوجى وأن يطلق على السيد زوجتيه . .

وحاول صوت سمارة ان يستدرج صوت سناء ولكنه لم ينبس فقال صوت رجب :  
- اعتبريني همها الأول !

وقال صوت سناء :

- لا . .

- ولكن صوت قبله همس متهافقا مدغوما . أما صوت خالد عزوز فقال :

- همى الأول هو الفوضويه !

وندت ضحكات . وساد صمت كفاصل راحة فسيطر الخلاء كاملا . وأقبل عم

عبده وهو يقول :

- رمت امرأة بنفسها من الدور الثامن فى عمارة الصويا !

لحظه أنيس بوجوم وسأله :

- كيف عرفت ؟

- ذهبت أثر صراخ قرأيت منظرا فظيعا !

صوت على السيد :

- من حسن الحظ أننا بعيدون عن الخارج فلا نسمع شيئا .

- انتحرت المرأة أم قتلت ؟

فقال الرجل :

- الله أعلم .

ثم مضى متعجلا الى الخارج . واقترح على السيد أن يذهب للاستطلاع ولكن اقتراحه رفض بالاجماع . وأرجعت صدمة الخبر "دات الى تكويناتها الأصلية فعاد المجلس الى هيئته . وسر أنيس لانقلابه من وحدته المرهقه . وقال ان معاشره المجانين خير على أى حال من الوحدة . وجاء دور مصطفى راشد ليتكلم ولكن على السيد أراد أن يثأر لنفسه فقال :

- انه محام قد خسر الدوائر التى صفيت فهو يعيش اليوم على الخطاة من أبناء

الشعب . . وهمه الأول بعد قبض مقدم الأتعاب هو المطلق ، وهو مطلب عسير بل

أشد عسرا من مؤخر الأتعاب !

فتساءلت سمارة :

- اذن فأنت من المتدينين ؟

- معاذ الله !

- فما هو المطلق ؟

أجاب على السيد :

— أحيانا ينظر الى السماء ، وأحيانا يركز في ذاته ، وثالثة يؤكد انه قريب ولكن اللغة خرساء ، وقد نصحه خالد بأن يعرض نفسه على طبيب غدد !

— على أى حال فهو من حزب الجدية ؟

— كلا . . ان مطلقه عبثى !

— أيمكن ان نعهده فيلسوفا ؟

— بمعنى عصرى للفلسفة ان شئت ، الفلسفه التى تجمع بين السرقة والسجن والشذوذ الجنسى على طريقة جينيه . . .

وتذكر آخر لقاء مع نيرون . كلا لم يكن وحشا كما قيل . قال انه لما وجد نفسه امبراطورا قتل أمه ، فلما صار الها أحرق روما . وقبل ذلك كان مجرد انسان عادى فعشق الفن ، وقال انه لذلك كله ينعم في جنة الخلد . وضحك عاليا فما يدرى الا والانظار تتجه اليه وسمارة تساله :

— جاء دورك ياولى الامر فما همك الأول ؟

ودون تردد أجاب :

— ان أرافك !

وضج المكان بالضحك وقال رجب باندفاع :

— ولكن . . !

ثم استرد انتباهه بسرعة فسكت فعاد الضحك أشد من الأول ورغم الحرج الحث سمارة على استجوابه فاجاب عنه أحمد نصر قائلا :

— أن يقتل المدير العام . .

فضحكت قائلة :

— أخيرا وجدت شخصا جادا !

— ولكنه لايفكر في ذلك الا في لحظات الافاقه !

— ولو !

ورجع عم عبده فوقف عند البارقان وهو يقول :

— انتحرت المرأة لخلاف مع عشيقها !

وحل الصمت مليا حتى قال بعزوز :

— خير ما فعلت . غير-الجوزة ياعم عبده . .

وتمتت سمارة :



— لم يزل في الدنيا حب !

فعاد خالد يقول :

— انتحرت المرأة وهى على الأرجح جادة ، أما نحن فلا ننتحر .

وقال أحمد نصر ان كل حى هو جاد ويمارس حياته على أساس من الجديه ، وان العبث يقتصر عادة على الأدمغة ، وقد تجد قاتلا بلا سبب في رواية مثل رواية الغريب أما في الحياة الحقيقية فان بيكت نفسه أول من يسارع باقامة الدعوى على ناشر اذا أخل بشرط من شروط العقد الخاص بأى كتاب من كتبه العبثيه . ولم تقبل سمارة الرأى على علاته ، قالت ان ما يستقر في الرأس لابد ان يؤثر بطريقة أو بآخرى في السلوك أو على الأقل في المشاعر ، وضريت الأمثال بالسلبية واللا أخلاقيه والانتحار المعنوى . ولكى يبقى الانسان انسانا فعليه ان يثور ولو كل سنة مرة ! . ولكن رجب اقترح عليها أن تبقى حتى يشاهدوا مطلع الفجر من وراء أشجار الاكاسيا اندوزا فاعتذرت ثم صممت على الذهاب عند منتصف الليل ، ورفضت شاكرة فكرة أن يوصلها أحدهم بسيارته . وفي أثر ذهابها ساد الجوصمت كالراحة بعد التعب . وأوشك أن يدركهم فتور ما . وهم أنيس بأن يحدثهم عن تجربته الذرية ولكنه سرعان ما عدل عن فكرته كسلا . وتساءل أحمد نصر :

— ماذا وراء المرأة الغريبة الفاتنة ؟

فقال على السيد وقد احمرت عيناه الكبيرتان وبدا أنفه الكبير متهدلا لزجا :

— انها تحب أن تعرف كل شئ ، وان تصادق كل جدير بالصداقه .

فتساءل مصطفى راشد :

— هل يمكن أن يدور بخلدنا أن تدعونا يوما الى الجدية ؟

فقال خالد عزوز :

— في تلك الحال علينا ان ندعوها بدورها الى حجرة من الحجرات الثلاث .

— هذه مهمة رجب القاضى !

امتقع وجه سناء ولكن السطل لم يجعل لملاحظة قيمة . وقال خالد :

— علينا من الآن ان نتفق على وريث لسناء !

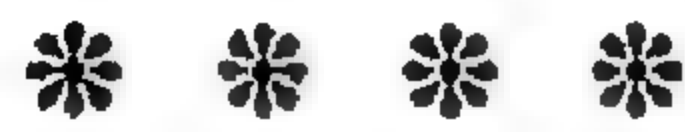
ورمقت سناء رجب بنظرة قاسية فقال ملاطفا :

— ليس على المسطول حرج . .

وعاد خالد يسأل :

— أمن السهل على عابث أن يعشق امرأة جادة ؟

ودارت الجوزة وامتلات الأعين بالنعاس . ونقلت المجرمة الى الشرفه فنفضت عنها الرماد وتوهجت ثم طقطقت مطلقه الشرر . واقترب أنيس من الشرفه مستزيذا من نسيم الليل الرطيب . ورنأ الى النار باعجاب مستسلما لسحرها العجيب . وقال ان أحدا لا يعرف سر القوة كالدلتا . الأبراص والفئران والهاموش وماء النهر كل أولئك عشيرتى ولكن لا يعرف سر القوة الا الدلتا . الشمال كله دنيا سحرية مغطاه بالغابات لاتعرف النهار الا دفعات من الضوء المتسلل من شباك الأوراق والغصون . وذات يوم تراكضت السحب هاربة وحل ضيف ثقيل مشقق الجلد كالبح الوجه اسمه الجفاف . ماذا نصنع وهاكم الموت يزحف علينا .. ؟ ذوت الخضرة وهاجرت الطيور وهلك الحيوان . قلت : هاكم الموت يزحف ويمد قبضته الينا . أما أبناء عمى فقد مضوا الى الجنوب التماسا للعيش اليسير والقطوف الدانية ولو فى أقصى الأرض . وأما أسرتى فقد اتجهت نحو المستنقعات المختلفه من مياه النيل ولا سلاح لها الا عزيمتها ولا شاهد على مغامرتها الجنونية الا الدلتا . وفى انتظارها تكتل نبات الشوك والزواحف والوحوش والذباب والبعوض ، ثمة مأدبة وحشيه للفناء ولاشاهد الا الدلتا . قالوا ليس أمامنا الا أن نقاتل شبرا فشبرا وان نجالد بالعرق والدم . السواعد الداميه والاعين المحملقه والآذان المرهفه ولا شى' يسمع الا دبيب الموت . وانتشرت الأشباح ودومت النسور تنتظر الضحايا . لا وقت الا للعمل ، لا هدنة لدفن الموتى ، وليس ثمة من يسأل أين يذهبون . وولدت أعاجيب وبذرت بذور المعجزات ولا شاهد الا الدلتا . .





عندما تبدأ سهرة جديدة ، يتكاثف الاحساس بالحضور ويطمئن الوجود ، وتتوارى فكرة النهاية ، فتتهياً فرصة نادرة لممارسة الشعور بالخلود ، ولأن الليلة قمراء فقد أطفئ مصباح النيون اكتفاء بمصباح أزرق خافت الضوء مثبت فوق الباب الخارجى . وبدأ الصباح شاحبى الوجوه ومن خارج الشرفه أضفى القمر المرتفع عن مجال البصر على هلال المجلس بساطاً فضياً متوازى الأضلاع .

— قرأتم بلا شك مقال سمارة عن الفيلم الجديد ؟

— قل عن رجب القاضى فهو الأصح !

كلا . انه لا يقرأ الجرائد ولا المجلات . ومثل لويس السادس عشر لا يدري شيئاً عما يدور فى الخارج .

وقالت ليلي زيدان مراعاة لشعور سناء :

— الجديه ! . . أجل ! . . ولكنى لم أكثرث لذلك ، كنت أعلم من أول الأمر أنها

جاءت لهدف محدد من نوع آخر . . .

وقالت سناء لرجب :

— قم لفرقص .

فأجابها بهدوء بغيض :

— لا توجد موسيقى .

— طالما رقصنا بغير موسيقى .

— صبرك يا عزيزتى والا فلن تدور الجوزة ؟

يظن نفسه مركز الكون وأن الجوزة تدور من أجله . والحق أن الجوزة تدور لأن كل شئ يدور ، ولو كانت الأفلاك تسير فى خط مستقيم لتغير نظام الغرزة . وليلة



أمس اقتنعت تماما بالخلود ولكنى نسيت الأسباب وأنا ذاهب للأرشيف .  
وقال خالد عزوز ساخرا :

— والمقال يعتبر من الأدب الهادف فيما أعتقد ، ما رأيك يارجب ؟

أجاب رجب وكأن سناء غير موجودة :

— اعتبرته خطوة وتحية من جانبها !

— ومما يؤكد ذلك أنها منقطعة عنا منذ أيام !

التربيع الأول المختفى يضىفى على الظلمة ضياء مسطولا كعين البنفسج  
الناعسة . أتذكر كيف كان البدر مرهقا في ليالى الغارات ؟ . ها هو البارع يتوثب  
لغزوة جديدة ، وكجميع الغزاة يتحلى بقسوة حادة كالدرع .

وقال رجب مستزيذا من النسيان القاسى لصاحبته :

— شكرت بالتليفون ، قلت اننى أود أن أزورها لولا اشفاقى من اخرجها فقالت

باستغراب أى احراج هناك !

— دعوة صريحة !

— وفي دقائق معدودة أو معدودات كما يقول علماء النحو كنت أستأذن لدخول

حجرتها ولكنى وجدت فى الخرابة عفريتاً ، وكان العفريت هو صديقنا على السيد

وانهال السباب على الصديق على السيد .

— شكرت ، وشربت القهوة ، وقلت ان مقالها جدير بأن يخلقنى خلقا جديدا !

— منافق ابن منافق ومن سلالة أمة عريقة فى النفاق .

— وشغلت بطارية السكس أبيل من خلال نظراتى اليها فصدرت عن أوتارها

الصوتية فى أثناء الحديث أنغام رقيقة من النوع الذى لا تسمح به الرقابة الا فى

أعقاب سعى طويل هادف .

فقال على السيد :

— خيال مغرور .. كان الحديث عاديا والصوت عاديا ..

— بل، كنت أنت منهما فى حديث هامس مع منتج سينمائى وفى غاية من

المساومة ..

فضحك على السيد ضحكة عالية وقال :

— الحكاية صندوق ويسكى بلا زيادة وسيستهلك فى عوامتكم اللعينة ..

وسأله مصطفى راشند :

— وهل اقتصر الأمر على الأنغام الرقيقة ؟

— ماذا تتوقعون أكثر من ذلك في مقابلة شبه رسمية ؟ .. ومع ذلك فقد توارت  
الاستاذة الهادفة وراء غلالة أنثوية شفافة من النوع الذى تستعمله الفراشة وهى  
تنتقل بين الأزهار مؤديو وظيفة عم عبده فى شارع النيل .  
فقالت سناء بنبرة كرنين الوتر الرفع من القانون اذا مسته يد العازف خطأ :  
— يالك من ساحر !  
فابتسم اليها ابتسامة فاترة بدت فى الضوء الأزرق الشاحب كامتعاضة وقال :  
— ياعزيزتى الصغيرة ..  
ولكنها قاطعته بحدة :  
— لست صغيرة من فضلك ..  
— صغيرة السن ولكن كبيرة المقام !  
— دعنا من الاكلشييات التى ماتت بموت العصر المملوكى !  
فتأوه على السيد قائلاً :  
— أين منا عصر الممالك بشرط أن نكون من الممالك !  
فقالت سناء باستياء واضح :  
— ما أسرع أن يتقلب أهل العوامة وحوشاً بلا قلوب .  
الوحوش ذوات قلوب . وهى ليست وحوشاً الا جبال أعدائها ، ولن أنسى الحوت  
الذى تراجع عن العوامة وهو يقول لى « أنا الحوت الذى نجى يونس » . وكم من  
ملايين ملايين ملايين الأعين قد رنت الى الليل المستكن فى ضوء القمر . وليس أدل  
على صدق سمارة من هجرة الطيور الموسمية . أما سناء المسكينة فقد نسيت سكنى  
الكهوف على عهد صباها الأول . وصاح :  
— المعسل زفت ، كآته ورق شائط !  
وراح يصره فى منديل ليعصره ، وفى اثناء ذلك اشترك فى سباق الجرى ورفع  
الأثقال فى الدورة الأولمبية باليابان فسجل أرقاما قياسية . ودق جرس التليفون  
فنهض رجب اليه كأنما كان ينتظره ، ولم يسمع من حديثه سوى كلمات مفردة مثل  
مفهوم .. طبعاً .. حالا ، وأعاد السماعه ثم التفت الى المجلس وهو يقول :  
— عن اذنكم ..  
ونظر الى سناء قائلاً :  
— ربما رجعت فى آخر السهرة ..



.. ويجمع بيننا شيء واحد .. الوحدة !



ونظر الى سناء قائلاً :

— ربما رجعت في آخر السهرة ..

ومضى الى الخارج . اهتزت العوامة تحت أقدامه القوية ، وندت عن سناء حركة عصبية فخيل اليهم أنها موشكة على البكاء ولم ينبس بكلمة أحد ، وارتسمت في الأعين تساؤلات ولكن على السيد هز رأسه مستنكراً ، وأخيراً خاطب مصطفى راشد سناء برقة قائلاً :

— لا .. لا .. لقد ولي العصر الرومانسى وحتى العصر الواقعى يحتضر !

وقالت ليلي زيدان وهى تدارى ابتسامة شامتة :

— من المسلم به فى عوامتنا أنه لا شئ يستحق الأسف !

فهتفت سناء بحدة :

— لا رومانسية ولا أسف ..

فقال على السيد :

— أؤكد لك أنه ذاهب لمقابلة منتج ! .. ولكن لا تنسى عموماً أنك صادقت رجلاً

حرفته النساء !

وقام أحمد نصر وهو يقول بحنو :

— سأتيك بكأس ويسكى ولكن عودى الى حالتك الطبيعية من فضلك .

وقالت سنية كامل ببساطة مذهلة :

— واذا وقع المحذور فعندك مصطفى وأحمد ..

فصاح أنيس بوحشية :

— لماذا تغفلنى احصاءات الأوغاد ؟

ثم بغلظة وهو يضغط على مخارج الكلمات :

— أوغاد منحلون مدمنون !

أغرقوا فى الضحك . وتساءل مصطفى راشد :

— ترى أذهب حقاً الى سمارة ؟

فقال على السيد :

— كلا .

— ليس بالغريب أن يوقع بامرأة !

وقالت ليلي زيدان :

— بالله خبرنى لماذا جاءت الى هنا ان لم يكن من أجله ؟

فقال على السيد :

— لا شيء محال ، ولكنها ليست بالغرة ، ولا أظنها ترضى بأن تكون معجبة عابرة !

فتساءل مصطفى راشد :

— ما الذى يجعل لبعض الرجال مثل تلك السطوة ؟

فقال على السيد :

— أى نجم فى مركزه لا بد أن يكون له شأن .

— ليس الأمر بمجرد لمعان نجم ، ولا حتى الرشاقة والجمال ، ولكنه سر أسرار

الجنس !

فقال أحمد نصر :

— فليحدثنا النساء عن ذلك ..

فقال على السيد :

— النساء يحبين ولكنهن لا يقلن لماذا ..

فقال خالد عزوز :

— لتسأل عن ذلك الغدة النخامية ..

ومضت سناء بشلطة الى الشرفة وجلست وحيدة . وسأل على السيد مصطفى

راشد وهو يومئء خفية الى سناء :

— أهى تمثل الأنموذج النسائى الذى تبحث عنه ؟

فأجاب باقتضاب أن لا . وقال خالد عزوز :

— الاباحة .. الاباحة . هى العلاج لذلك كله ..

واذا بأنيس يقول :

— يا أوغاد .. أنتم المسئولون عن تدهور الحضارة الرومانية !

وضحكوا فى صخب ، وقال له أحمد :

— أنت الليلة عصبى على غير عادتك ..

— المعسل زفت !

— لكنه كثيرا ما يكون كذلك .

— والقمر ! . تذكرنى دورته بالمهزلة ..

— المهزلة ؟

— مهزلة المهازل !

ودارت الجوزة بلا توقف . ولزموا الصمت ليستحضروا الأرواح الشاردة ،

ووشى المجلس بعدم التهم للتاريخ والمستقبل . وقال لنفسه انه الصفر . لا ناقص ولا زائد ولكنه الصفر . معجزة المعجزات . وانكشف المجهول تحت ضوء القمر . وترامى صوت عم عبده من الخارج وهو يرطن بكلام لم يميزه أحد . وضحك البعض . وقال آخر ان الوقت ينقضى بسرعة مذهلة . وتجلت وشوشة الموج وهو يرتطم بأسفل العوامة . أجل دورة القمر . والثور المغمى . ويوما قال لى شيخ « انك تحب الاعتداء والله لا يحب المعتدين » وكان الدم يسيل من أنفى . ولعل الشيخ قال ذلك للآخر . ولعل الدم سال من الآخر . كيف يمكن الثقة بشئ بعد ذلك ؟ ، وعاد الصوت يقول : « انقضى الوقت بسرعة مذهلة » . وتنهد أحمد نصر قائلاً « أن الأوان » هكذا نعى الينا الجلسة . وتمطت حركة متكاسلة ثم ذهب أحمد ومصطفى معا ، وتبعهما خالد وليلى . أما على وسنية فتسللا إلى الحجرة المطلة على الحديقة وجاء عم عبده ليعيد المكان الى أصله . شكا اليه رداة المعسل فقال الرجل ان كل ما فى السوق ردىء وجاءت من الشرفة عطسة فذكر من توه سناء . زحف على أربع نحو الشرفة ثم أسند ظهره الى خلفتها ومد ساقيه الى الداخل وهو يتمتم « مساء الجمال » . انحسر عنهما ضوء القمر الذى أوغل فيما وراء العوامة ناحية الطريق ساحبا وراءه فوق سطح الماء لآلئه .

— أتظن أنه يعود ؟

— من ؟

— رجب !

— ما أتعس المسئول اذا عجز عن الجواب .

— قمال انه ربما جاء آخر السهرة ..

— ربما ..

— هل أضايقتك ؟

— معاذ الله .

— أتري أنه يجب أن أنتظر ؟

فضحك ضحكة خفيفة وقال :

— ينتظر قوم امامهم منذ ألف سنة !

— أتسخر منى مثلهم ؟

— لم يسخر منك أحد ولكن تلك طريقتهم فى الكلام .

— على أى حال فأنت أطفهم جميعا .



— أنا !

— لا يخرج من فمك سوء .

— ذلك أننى أخرس .

— ويجمع بيننا شئ واحد .

— ما هو ؟

— الوحدة . .

— المسطول . يعرف الوحدة .

— لماذا . تغازلنى ؟

— المسطول الحق يتمتع باكتفاء ذاتى !

— ما رأيك فى نزهة فى قارب شراعى ؟

— قدماى . تكادان تحملاننى ..

وهى تتنهد :

— لم يبق الا أن أذهب ، ولا يوجد أحد ليوصلنى الى الميدان !

— عم عبده يوصل من . يجد أحدا ليوصله .

تردد فى تيار النسيم بعض من أنفاس الليل الرطبة ، ومن وراء باب الحجرة المغلقة همهمت ضحكة . والسماء صافية تماما تزدھر بألاف النجوم ، ومن مكان يتوسطها تراءى وجه مطموس المعالم وهو يبتسم . وداخله شعور لم يجد مثله الا وهو ينسجل رقما قياسيا فى الدورة الأولبية . ولما كان الوقت ينقضى بسرعة مذهلة فقد تجلت لعينيه المأساة على حقيقتها فى ميدان المعركة . اذ يجلس قمبيز على المنصة ومن خلفه جيشه المنتصر . الى يمينه قواده المظفرون والى يساره فرعون يجلس جلسة المنكسر . والأسرى من جنود مصر يمرون أمام الغازى . واذا بفرعون يجهش فى البكاء فيلتفت قمبيز نحوه سائلا عما يبكيه يشير الى رجل يسير برأس منكس بين الأسرى ويقول :

— هذا الرجل ! .. طالما شهدته وهو فى أوج أبهته فعز على أن أراه وهو يرسف فى

الأغلال !



قد أعدت الجلسة بكل مايلزمها وما هو عم عبده يؤذن لصلاة المغرب ولكن ثمة  
 سحنة حقيقية في الانتظار . أنتظار سحر الفنجال المسحور . والأنتظار شعور مؤرق  
 ولا شفاء منه إلا بيلسم الخلود . وقبل ذلك فلا النيل يؤنسك ولا أسراب الحمام  
 الأبيض . وترى بعين قلقة تقوض المجلس كما ترى جميع النهايات . والقمر بازغ  
 فوق أغصان الأكاسيا يؤكد هذه الوسائس ولا يلففها . وما دام ذلك كذلك فحتى  
 فعل الخير يعقبه الندم . ويضيق الصدر بأى حكمة إلا حكمة تنعى جميع الحكم .  
 فليذهب العذاب المتراجع أمام السحر إلى غير رجعة . وعندما نهجر إلى القمر  
 فسنكون أول مهاجرين يهاجرون هرباً من لا شيء إلى لا شيء . فواحسرتنا على نسيج  
 العنكبوت الذى غنى ذات مساء فى قريتنا مع نقيق الضفادع . وقبيل القيلولة  
 سمعت إلى نابليون وهو يتهم الأنجليز بقتله بالسسم البطيء ولكن ليس الانجبيز  
 وحدهم الذين يقتلون بالسسم البطيء وراح يتمشى ما بين الشرفة والبارفان ، وأضاء  
 المصباح الأزرق ، وفى أثناء ذلك شعر بأنامل الرحمة وهى تلاطف باطنه .  
 واهتزت العوامة وارتفعت الأصوات مؤذنة بالعمران .

إكتمل المجلس ودارت الجوزة على مرأى من القمر الماضى فى العلو . وتخلفت  
 سناء لأول مرة منذ مجيئها فلاحظ ذلك أحمد نصر وتضاربت التعليقات . وقالت  
 سناء : سنة كامل :

- المسألة أنكم رجال فى حال إنعدام من الوزن !
- وبدأ رجب لا مباليا وهو يثنى على " الصنف " فقال له أحمد نصر :
- كنت قاسيا معها أكثر مما يجوز ولم تراع حداثة سنّها .
- لا يمكن أن أكون عاشقا ومربيا فى وقت واحد . .

— لكنها صغيرة !

— لست أول فنان في حياتها .

ورجح أحمد نصر أنها أحبته بصدق فقال :

— إذا عاش حب شهرا كاملا في زماننا الصاروخى فهو حب معمر !

وتذكر كيف أغرته بمغازلتها ، وكيف أبى كيوسف ! . وكيف يصنع الحب الحكايات من قديم الزمان . وضوء القمر يسطع على وجوههم وعما قليل سيختفى عن الأنظار . وعندما يدقق النظر في وجوههم تتكشف له عن ملامح جديدة كأنها وجوه غريبة ، أنه يراهم عادة بأذنه ومن وراء سحببات الدخان ومن خلال الأفكار والمعاملات ولكنه إذا ركز عليهم تركيزا تلقائيا نافذا وجد نفسه غريبا وبسط غريباء ، ورأى الخراب في التجاعيد الخفيفة حول عيني ليلي زيدان . ولح قسوة ثلجية في ابتسامة رجب التهكمية . وتلوح الدنيا غريبة أيضا لا يدرى موقعها من الزمان ولعلها لا توجد أصلا . وأنتبه على أسم سمارة وهو يتردد بينهم وسرعان ما سمع صوتها وهى تضاحك عم عبده فى الخارج ، وسرى من هزة العوامة إلى جسده ما يشبه القشعريرة ، وهلت سمارة فى تايير أبيض . حيثهم بيديها وأتجهت إلى الشلّة الخالية ، شلّة سناء ، وأشعلت سيجارة فى إرتياح ولكن لم يلاحظ أحد عليها تغيرا يمكن أن يفسر به سلوك رجب الغامض أمس . وتساءلت الفتاة ببراءة :

— إين سناء ؟

فأجاب مصطفى راشد :

— فى كوخ عم عبده !

إحتفظت ببراءتها فقال إنها تبحث هناك عن المطلق فقالت إنها كان يجب أن تبحث عنه عنده هو لا فى كوخ عم عبده . فقال مواصلا تهكمه :

— الحق أنها وجدت حب رجب عرضا زائلا فمضت وراء شىء حقيقى لا يتغير . . .  
فقالت اسفة :

— فى كوخ عم عبده شىء لا يتغير حقا هو الخلاء !

أجل لا يملك الرجل سوى جلبابه وينام على أريكة قديمة بلا غطاء . هكذا وجدّه عند إنتقاله إلى العوامة ولكن لا بد أن يزوده بغطاء عند مقدم الشتاء . وألح مصطفى على سمارة فى أن تجرب الجوزة وأنضم إليه رجب :

— لماذا تصرين على رفضها ؟

فضحكت متسائلة :



- لماذا تحبونها ؟ . . هذا هو السؤال المهم !
- الأمتناع عنها هو ما يحتاج إلى تفسير !
- ووضح للجميع شغفها للوقوف على سرها الأسر . أجل . . لماذا يعشق أناس غيبوبتها ؟ . . لماذا يهيمون بالنعاس الذاهل ؟ . .
- وقال لها خالد عزوز :
- إرجعى إلى كلمة ادمان فى دائرة المعارف البريطانية !
- ولكن مصطفى راشد سارع يقول :
- حذار من الأكلشييات يا أستاذة .
- وجعلت تبتسم مترددة فعاد يقول :
- حذار من ترديد ألفاظ سخيفة مثل الهروب إلخ . .
- فقالت ببساطة :
- أريد أن أعرف ؟
- فتسائل رجب :
- تحقيق جديد ؟
- لا أقبل أن أكون موضع إتهام .
- فقال مصطفى راشد متحديا :
- لا قيمة للأكلشييات ، جميعنا أناس عاملون ، مدير حسابات ، ناقد فنى ، ممثل ، أديب ، محام ، موظف ، كلنا نعطي المجتمع ما يطلبه منا وأكثر ، من أى شىء نهرب ؟
- قالت بصدق :
- إنك تفترض آراء معارض ثم تناقشها . إنى أسأل فقط عما تصنعه لكم الجوزة ؟
- فقال على السيد :
- إنها تقول شيئاً قريباً من قول الشاعر :
- سهرت أعين ونامت عيون  
فأطرح الهم عن النفس ما أستطعت  
فحملانك الهموم جنون
- فقالت فيما يشبه الخفر :
- إذن هى الهموم . .

قال مصطفى راشد باصرار :

— إننا نواجه هموم حياتنا اليومية بكل همة ، لسنا تنابلة . نحن أرباب أسر  
ورجال أعمال . .

تلوح الدنيا غريبة وتزداد غرابة عند تناول الأفكار . الهموم والتنابلة  
والأكلشييات . والمساطيل يتناقشون بأعين محمرة . وإختفى القمر تماما ولكن  
سطح الماء يضيء بلألته كإنه بشاشة سعادة مجهولة . ماذا تريد المرأة . وماذا يريد  
المساطيل ؟ . يقولون وقت فراغ وتقول إدمان . وعجيب ألا تهتز العوامة بهذا  
النقاش وهي تميد تحت وقع قدم فوق الصقالة .

وجاء عم عبده فأخذ الجوزة ليغير ماءها ثم أعادها وذهب . ونظر أنيس إلى  
لآلء الماء وأبتسم . وأنتبه إلى صوت سمارة وهي تناديه فنظر إليها ويداه لا تكفان  
عن العمل . قالت :

— أود أن أسمع رأيك أنت ؟

فقال ببساطة :

— تزوجى يا أنسة !

فضحكوا . أنها تفضل دور الواعظة . قال رجب ولكنها أصرت على ألا ترتبك .  
وجعلت تستحث أنيس على الأجابة بعينيها . وأنصرف عنها إلى ما بين يديه ، لماذا  
واحد وواحد يساويان إثنين ؟ .

إمرأة مزعجة تقتحم علينا بديهيات الحياة . ماذا تريد ؟ وكيف يمكن أن  
ننسطل في مطاردة مستمرة حامية ؟ . ولما يئست منه تحولت إلى مصطفى قائلة :  
— حق أنكم تواجهون هموم حياتكم اليومية بكل همة ، ولكن ماذا عن الحياة  
العامة ؟

— تعنين السياسة الداخلية ؟

— والخارجية !

فقال خالد عزوز متهمكا .

— وسياسة العالم ، لم لا ؟

ف قالت باسمه :

— وتلك أيضا .

فتسائل مصطفى راشد :

— والسياسة الكونية لا يجوز أن تهمل أيضا .

فتساءلت . ضاحكة .

— رأيت أن الهموم أكثر مما نتصور !

— الآن تفاهمنا ، إنك تأسفين على وقتنا الضائع في السهرات وتعتقدين أنه هروب من أعبائنا الحقيقية ، وأنه لولا ذلك لقدمنا الحلول الناجحة لمشاكل الوطن العربى والعالم والكون ..

وضحكوا مرة أخرى . وقالوا لأنيس . أنه السبب الحقيقى وراء ما يعانىه العالم من الام والكون من غموض . وأقترح مصطفى أن يرموا بالجوزة إلى النيل ثم يقسموا العمل فيما بينهم ، فيختص خالد بغزو السياسة الداخلية وعلى السيد بالسياسة العالمية ، ومصطفى بحل رموز الكون . وراحوا يتساءلون عن كيف يبدأون ، وكيف ينظمون أنفسهم . وكيف يحققون الاشتراكية على أسس شعبية ديمقراطية لا زيف فيها ولا قهر ، وكيف بعد ذلك يعالجون مشكلات العالم كالحرب والتفرقة العنصرية ، وهل يبدأ مصطفى من الآن في حل معميات الكون ، هل يدرس العلم والفلسفة أو يقنع بالتركيز الذاتى في إنتظار الشعاع المضى ؟ . وتدارسوا العراقيل المتحدية ، والأخطار التى قد تحيق بهم كمصادرة الأرزاق والأعتقال والقتل ، وثمة صوت تشكى من السرعة المذهلة التى ينقضى بها الوقت . والقمر إختفى تماما ولم يبق من بساط اللآلىء إلا ذيل قصير . ولم تتوقف الجوزة عن الدوران ولا سمارة عن الضحك .

وتلاطمت في رأسه خواطر عن الغزوات الإسلامية والحروب الصليبية ومحاكم التفتيش ومصارع العشاق والفلاسفة والصراع الدامى بين الكاثوليكية والبروتستنتية وعصر الشهداء والهجرة إلى أمريكا وموت عذيلة وهنية ومساوماته مع بنات شارع النيل والحوث الذى نجى يونس وعمل عم عبده الموزع بين الأمامة والقوادة وصمت الهزيع الأخير من الليل الذى يعجز عن وصفه والأفكار الفسفورية الخاطفة التى تتوهج لحظة ثم تختفى إلى الأبد .

وصحا على صوت سمارة وهى تسأل الجماعة :

— كيف كنتم في مطلع الحياة ؟

وضحكوا . لماذا يضحكون ؟ . كأنما لم يكن لحياتهم مطلع . الذكريات البعيدة التى لحقت بالعصر الحجرى . القرية ثم الغرفة الوحيدة والأصرار . الأصرار في القرية والحجرة الوحيدة . والقمر كان يبزغ ويغرب ولا يوحى بنهاية شىء . قال خالد :





— في صباى لم يكن ثمة سؤال بلا جواب ، والأرض لم تكن تدور ، والأمل يمتد  
في المستقبل بسرعة مائة مليون سنة ضوئية .  
وقال على السيد :

— وتساءلت ذات يوم لماذا يعرقل الخوف من الموت سعادتنا الأبدية ؟  
وقال مصطفى راشد :

— ويوما كدت أهلك أنا وأنيس في مظاهرة ثورية !  
ولم تدهش الفتاة لشيء من ذلك . وراحت تتحدث عن إمكان إستعادة الحماس  
في أزياء جديدة ، ولكنهم تكلموا عن خيانة المرأة التى تنزع الثقة من النساء  
جميعا ، وقالت لمصطفى وهو أشدهم جدلا :  
— أنك تهرب بالمطلق من المسئولية .  
فأجابها بسخرية :

— المسئولية سبيل الكثيرين للهروب من المطلق . .  
البيضة والدجاجة . أما أنا فأكرس وأرص وأشعل النار وأدير الجوزة ثم  
أنصب من نفسى مستودعا لخردة المهاترات . والنساء تضحك وتحلم بالحب .  
والوقت ينقضى بسرعة مذهلة . وكلما أرادت الاستاذة الذهاب استبقاها الساحر  
باصرار وعما قليل سيحل الخراب بالمجلس ، والخيام الذى كان مدرسة أمسى قنوقا  
للملذات .

وقد قال لى فى آخر لقاء إنه لو كان إمتد به العمر إلى أيامنا لأشترك فى أحد  
النوادر الرياضية .  
— أن الأوان !

وذهب الرجال والنساء إلا رجب وسمارة !  
من المحقق أنهما لا يعرفان أن التيل هو الذى قضى علينا بما نحن فيه . وأنه لم  
يبق من عبادتنا القديمة إلا عبادة أبيس .  
وأن الداء الحقيقى هو الخوف من الحياة لا الموت . والآن فلتسمع الحوار المعاد  
كما هى العادة :

— أليس الأفضل يا عزيزتى أن نستمتع بالحب ؟

— فكرة طيبة !

— وأذن . .

— قلت لك يا عزيزى إنى جادة . .

- أخلاق برجوازية ؟
  - جادة . . جيم ألف دال تاء مربوطة . .
  - بالله كيف تسلمين نفسك ؟
  - ولما لم تجب أستطرد :
  - بالزواج مثلا ؟
  - قل بالحب باعتباره الأصل . .
  - إذن تعالى . .
  - أنت جاد ؟
  - أنا لا أهزل أبدا . .
  - وسناء ؟
  - أنت لا تدريين شيئا عن سيكلوجية المراهقات المجنونات !
  - عندي بعض معلومات لا بأس بها
  - أنت ظريف حقا .
  - أتسلمين لى نفسك إذا عاهدتك على الأيمان بالجدية ؟
  - وها هو يقرب وجهه من وجهها . سيتكرر المنظر القديم .
  - وها هو يطبق بشفتيه على شفتيها .
  - وهى لم تقاوم ولكنها لم تستجب .
  - وتحدجه بنظرة ساخرة باردة باخ الفارس وتراجع . هكذا دالت دولة الفرس .
  - وقال وهو يبتسم :
  - إذن فلنتمش فى الحديقة الصغيرة . .
  - لكن الليل تأخر . .
  - ليس فى العوامة زمان .
- وخلت الصالة . كلا لم تخل الصالة فما يزال بها انقاض المجلس والمكتبة والبارفان والفريجيدير والتلفون والمصباح النيون والمصباح الأزرق ومقعدان فوتيل وسجادة سماوية ذات نقوش وردية وهيكل إنسان من العصر الذرى . أما هما ففي الحديقة يتمشيان وسترطب حرارتهما الأعشاب الندية ، وسوف تستقر همساتهما فى أوراق البنفسج والياسمين . ولا يبعد أن يرقصا على أنغام صرار الليل .
- جاء عم عبده لبيباشر مهمته الختامية . راقبه مليا ثم قال له :



— إذا وجدت فتاة . .

— أووه :

— قبل الوضوء أو بعده والا فالويل لك . .

— مات رجل طيب ممن كانوا يحافظون على صلاة الفجر .

— العمر الطويل لك ، يغلب على ظنى أنك ستدفننا جميعا !

وضحك العجوز ضحكة بريئة وهو يمضى بالصينية .

وعثرت عيناه على حقيبة بيضاء كبيرة فوق الشلطة التى كانت تجلس عليها

سمارة . وخيل إليه أن للحقيبة شخصية وأنها تؤثر فيه بمكر وسحر . وأجتاحته

رغبة عنيفة فى إرتكاب فعل شاذ . مد يده إلى الحقيبة ففتحها ، رأى أشياء متوقعة

ولكنها بدت صارخة الغرابة وفغمته رائحة زكية . منديل وقارورة صغيرة كحلية

اللون ومشط ذو مقبض فضى وكيس نقود ومذكرة فى حجم الكف . وفتح الكيس

فوجد بضعة أوراق مالية فخطر له أن يأخذ نصف جنيه ليعطيه للفتاة التى سيجىء

بها عم عبده . وسر لذلك جدا . وأمن بأنه يبتكر فكرة فريدة ذات طاقة غير عادية

على بعث المسرات . تناول المذكرة ودسها فى جيبه . أغلق الحقيبة وهو يغرق فى

الضحك . سوف يستأنف تجربة الترشيح التى فشل فيها قديما ويشق قلبا مغلقا .

ويجدد شبابه ليستعيد أيام العيث . سوف تقول الفتاة كل شيء مما يخطر على البال

ومما لا يخطر . وسوف تتساءل هل قصد بالمادة الطحلبية ذات الخلطة الواحدة أن

تتضمن جميع هذه الأعاجيب ؟ . وسوف تسألنى متى كنت بركانا قبل أن تتخلف

راسبا من الرواسب الميتة ؟ .

وأنا لا أعرف الجواب ولكن لعلك تعرفه أنت يا من يشيد التاريخ بذكراك . جلس

أمامى كتمثال .

فقلت : حقا ؟

أجاب بصوت ذكرنى بصوت مصطفى راشد :

— نعم ..

— ماذا تفعل ؟

— أقتاسم العرش مع أختى حتشبسوت . .

قلت بأهتمام :

— يسأل كثيرون عن سه خمورك فى ظلها ؟

— إنها الملكة . .

- ٠ - ولكنك الملك أيضا .
- أنها قوية وتحب أن تستأثر بكل شيء . .
- ولكنك أكبر قواد مصر وأعظم حكامها . .
- لم أخض حربا ولم أمارس الحكم بعد . .
- إنى أحدثك عما ستصير إليه ، ألا تفهم ؟
- وكيف عرفت ذلك ؟
- من التاريخ ، كل الناس يعرفونه . .
- وضحك وهو ينظر إلى كمن ينظر إلى معتوه ، فقلت باصرار :
- إنه التاريخ ، صدقنى ..
- لكنك تتكلم عن مستقبل مجهول .
- فقلت كمن يتكلم فى كابوس من شدة الحيرة :
- إنه التاريخ ، صدقنى ..
- يسأل كثيرون عن سر خمورك فى ظلها !
- انها الملكة ..



## مشروع مسرحية

فكرتها تدور عن الجدية في مواجهة العبث . والعبث هو فقدان المعنى ، معنى أى شيء . إنهيار الايمان ، الايمان بأى شيء . والسير في الحياة بدافع الضرورة وحدها ودون إقناع وبلا أمل حقيقى . وينعكس ذلك على الشخصية في صورة انحلال وسلبية وتمسى البطولة خرافة وسخرية ، ويستوى الخير والشر ويقدم أحدهما - إذا قدم - بدافع من الأنانية أو الجبن أو الانتهازية . وتموت القيم جميعا وتنتهى الحضارة . ومما يجب دراسته في هذه المرحلة مشكلة المتدينين العابثين ، فأنهم لا ينقصهم الايمان ولكنهم يسلكون في الحياة العملية مسلك العبث فكيف تفسر ذلك ؟ . أهو سوء فهم للدين ؟ ، أم إنه إيمان غير حقيقى ، روتينى ، بلا جذور ، تمارس تحت ستاره أخسأ أنواع الانتهازية والاستغلال ؟ . يجب دراسة هذه النقطة وهل يمكن الانتفاع بها في المسرحية أو تؤجل لموضوع مستقل .

أما الجدية فتعنى الايمان ، ولكن الايمان بماذا ؟ . ولا يكفى أن نعرف ما يجب أن نؤمن به ولكن من الضروري أن يكون لايماننا صدق الايمان الدينى الحق وقدرته المذهلة على خلق البطولات والا كان نوبها جادا من العبث . وحتم أن يعبر عن ذلك كله من خلال الموقف والحدث ، سواء أكان الايمان بالإنسان أم بالعلم أم بالأثنين معا . ولكى أبسط المسألة أقول أن الإنسان واجه قديما العبث وخرج منه بالدين ، وهو يواجه اليوم فكيف يخرج منه ؟ . ولا فائدة ترجى من مخالطة إنسان بغير اللغة التى يتعامل بها ، وقد اكتسبنا لغة جديدة هى العلم ولا سبيل إلى توكيد الحقائق الصغرى والكبرى معا إلا بها ، وهى حقائق بلورها الدين بلغة الإنسان القديمة . والمطلوب أن تؤكد بنفس القوة ولكن بلغته الجديدة .

وليكن لنا فى العلماء أسوة ومنهج . يبدو أنهم لا يقعون فى العبث أبدا . لماذا ؟



ربما لأنهم لا وقت لديهم لذلك ، وربما لأنهم على صلة دائمة بالحقيقة معتمدين على منهج موفق قد أثبت جدارته ، فلا يتأتى لهم الشك فيها أو اليأس منها . وقد ينفق أحدهم عشرين عاما لحل معادلة ، وستجد المعادلة عناية متجددة وتلتهم أعمارا جديدة ثم تفضى إلى خطوات راسخة في سبيل الحقيقة ، فهم يعيشون في ماخ يعبق بالتقدم والنصر ، ولا يعن لهم مثل هذا السؤال : " من أين وإلى أين وما معنى حياتنا " أى مغزى ، ولا يوحى بأى عبث ، والعلم الحقيقى يفرض أخلاقيات في عصر تدهور الأخلاق ، فهو مثال في حب الحقيقة والنزاهة في الحكم والرهبانة في العمل والتعاون في البحث والأستعداد التلقائى للنظرة الأنسانية الشاملة . وعلى المستوى المحلى هل يمكن أن يحل التفوق العلمى محل الانتهازية في قلوب الجيل الجديد ؟ .

على أى حال يستحسن ألا أشغل رأسى بفكرة المسرحية أكثر من ذلك الآن وسأعود إلى ذلك بعد جمع مزيد من العناصر الضرورية للعمل .  
ويخيل إلى أن الحركة ستجرى على الوجه الآتى :

فتاة تغزو مجموعة من الرجال لتغيرهم . يجب أن تنجح في ذلك بطريقة فنية والا ما كان للمسرحية معنى . امرأة جادة ورجال عابثون . وتلزمى قصة حب . ومن الممتع حقا أن يقع الجميع في حبها ، وعليها هى أن تختار واحدا ، أو أنها ستقع وهى لا تدري في حب أحدهم . وينقسم المجال لصراع حاد بين الجدية والعبث والحب بل يجب أن يتأزم الموقف بين الحب والجدية كيلا تفتقر المسرحية . ولكن هل تمضى كقصة غرامية في إطار من صراع فكرى ؟ .

هل تقتصر على المناقشات الفكرية والمناجاة الغرامية ؟ . وكيف ومتى يتم التطور في الحدث بأقناع فنى ؟ . هل يتم بناء على مناقشات ؟ .

هل يتم بناء على العاطفة ؟ . يتقصنى شيء هام جوهري فما هو ؟ .  
كيف يمكن نحول أناس عابثين الى عقيدة وما مدى اتساع هذه العقيدة ؟  
هل يكفى أن تغطى الموقف الاجتماعى ؟ . أعنى هل يكفى ذلك لعبث البطولات ؟ .

على أى حال فأنتنى على بينة الآن من الأفكار التى على أن أبلورها وأوضحها لأجعل منها محور المسرحية . ويحسن بى أن أدون أفكارى ومعلوماتى الأساسية عن شخصيات الرواية - بأسمائهم الحقيقية مؤقتا - لعل في ذلك خلاصا من حيرتى إذ أنه من المحتمل أن تتدفق الحركة في مجرى تلقائى إذا وضحت الشخصيات واستقرت معالمها الأساسية .

## أشخاص المسرحية

### ١ - أحمد نصر

موظف كفء فيما يقال ، ذو خبرة مذهلة بالحياة اليومية والعملية . موفق في حياته الزوجية وله ابنة في سن المراهقة ، متدين روتيني فيما اعتقد . وهو في الجملة شخص عاды ولا أدري كيف يخدم أغراض المسرحية . وثمة سؤال هام : لماذا يدمن الجوزة ؟ .

ولندع جانبا ما يقال عن البواعث الجنسية فهل عنده ما يهرب منه ؟ .

على أى حال يجب خلقه من جديد باعتباره غير قانع في أعماقه باستغراق الوظيفة والأسرة لحيويته . أنه يشعر في زاوية من نفسه بأنه مسئول . أو يجب أن يكون مسئولا ، عما يجرى حوله ، ولأنه مؤمن فهو أعظمهم توازنا ولكنه رغم ذلك وربما بسبب ذلك أيضا يحزنه أنه شيء لا يقدم ولا يؤخر في الحياة . على ذلك يمكن أن نعد أهتمامه المشهور بالمشكلات الصغيرة - كادمانه - نوعا من الهروب من إحساس التفاهة الذي يطارده . وسيمارس تعاسته الخفية دون وعى ، وسيظل في الظاهر الرجل المتوازن المؤمن المطمئن المفيد تكشفه البطلة أمام نفسه وربما في سياق غرامه بها .



## ٢ - مصطفى راشد

محام . لا بأس أن أبقى له على مهنته تبريرا لقوته في  
الجدل .

ساخر جدا وخفيف الروح . متزوج من امرأة لا يحبها  
ولعله تزوج منها طمعا في مرتبتها قبل كل شيء ، ويزعم  
أنه يبحث عن أنموذجه الأنثوي الذي لم يصادفه بعد .  
والحق أن الذي لا يمارس العشق في هذه العوامة فهو  
رجل غريب ينطوي ولا شك على سر دفين . لعله  
الأدمان . وهو يعي خواءه النفسي تماما . ويجد ملاذه  
في الجوزة والمطلق . ولكنه لا يعي - فيما يبدو -  
الخدعة التي يخدع بها نفسه ، وهو يتطلع إلى  
المستحيل بلا منهج ولا جهد حقيقي ، معتمدا على  
التأمل المسطول . كأن المطلق ما هو إلا مبرر  
للأدمان ، ولكنه يهبه إحساسا بالعلو فوق تفاهته  
الحقيقية . وهو ككثيرين ممن أقابلهم في الحفلات  
العامة - ذو مظهر براق بالثقافة وياطن أجوف متداع  
تفوح منه التعاسة والفتنة .

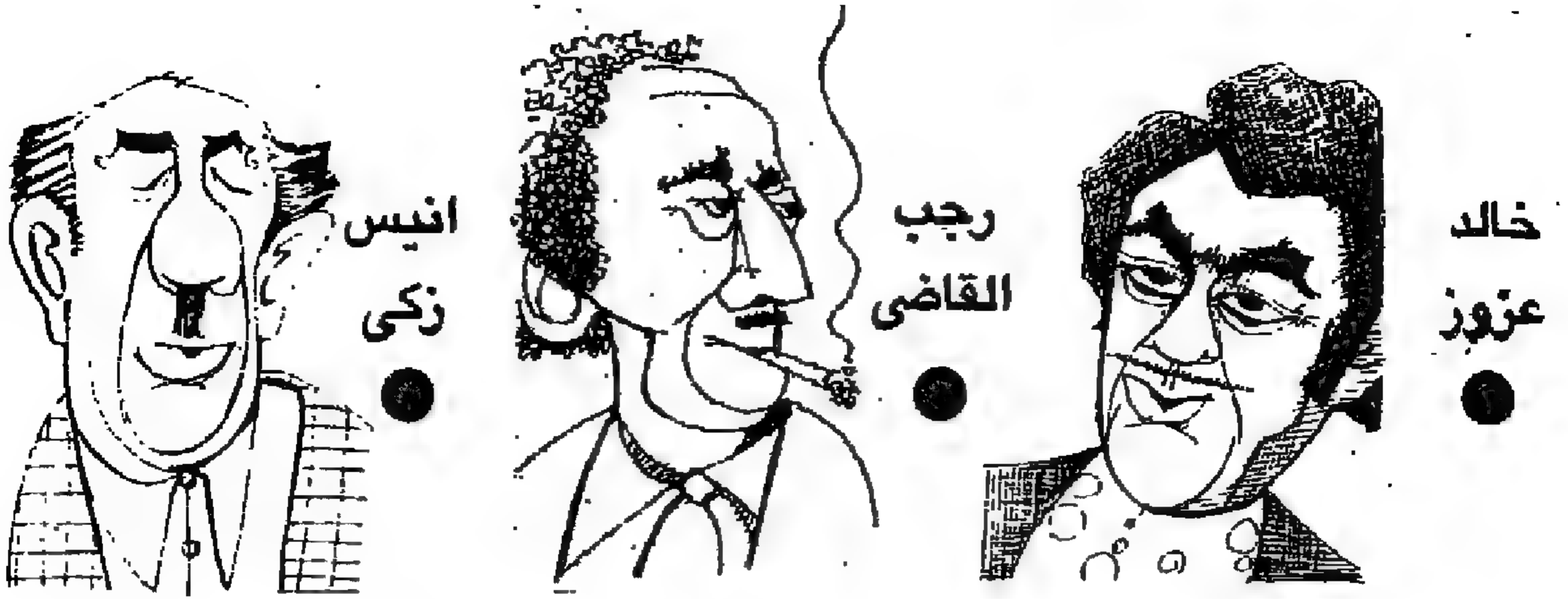


### ٣ - علي السعيد

أزهري النشأة . أتم دراسته بعد ذلك في كلية الآداب ، وأتقن الإنجليزية في مدارس برلتز ، فهو مناضل وعلى بيئة من هدفه القريب العمل ، وله زوجتان القديمة من القرية والجديدة من القاهرة ولكنها ست بيت ، امرأة تقليدية لترضى نوازعه المحافظة للسيادة ، وهو ينوه بقلبه الكبير الذي أبقى على الزوجة الأولى ولكنه خنزير كما تشهد بذلك علاقته الغريبة بسنية كامل . وكناقد فني فهو وغد كبير ، يقيم أسسه الجمالية على المنفعة المادية فلا يضطر إلى قول الحق إلا إذا خانه الحظ وعند ذاك ينقلب هجاء ساخرا بلا رحمة ، ويطارده الأحساس بالتفاهة والخيانة والعبث فيمضي في سبيل الجوزة والأحلام الغريبة عن إنسانية جديدة تتخايل أمام عينيه الذاهلتين من خلال الضباب المهلك . وهو مثال لطائفة من المعاصرين الذين يهيمون على وجوههم بلا عقيدة ولا خلق ، ولا يتورع عن ارتكاب جريمة إذا أمن من العقاب ..

### ٤ - خالد عزوز

ورث عمارة فضمنت له حياة رغيدة رغم عجزه الواضح . وجد مهربه في الجوزة والجنس والفن الهلامي الذي يفضح ما تخطوى عليه جوانحه من إنحلال وأباحية . من الصعب الفصل فيما إذا كان



فقدته للعقيدة - أى عقيدة - هو الذى تأدى به إلى  
الأنحلال أم أن انحلاله هو الذى ساقه إلى رفض  
العقائد ، لذلك لا أستبعد أن يرجع يوما إلى الإيمان  
التقليدى إذا نصب معينة . وهو دون أصحابه  
عاطل ، يأخذ من المجتمع دون أن يعطيه شيئا ، إلا  
قصصا مثل قصة الزمار الذى انقلب مزماره حية  
تسعى ! . ولا أستبعد كذلك أن يطل علينا ذات  
مساء من شرفة اللامعقول .

## ٥ - رجب القاضى

هو أمل المسرحية . إذا لم يذعن للتطور فقل  
عليها السلام .  
أبوه حلاق كما أخبرنى على السيد ، وما زال  
يمارس مهنته فى كوم حمادة رغم لمعان أبته ، عن  
كبرياء من ناحيته أو نذالة من ناحية أبته .  
رجب رجل جنس . إله من الآلهة التى تموت فى  
الحلقة السادسة وكآلهة العشيق لا يخلو من قسوة

لن يلطفها إلا الحب . وهو كالأخرين بلا عقيدة ولا مبادئ ولكنه دونهم عصبية وتأزما ، جميل جذاب ، مشهور بسيمرته الغامقة ، وسيطرته غير المحدودة . ومهريه الحقيقي في الجنس أما الجوزة فيبدو أنها لا تؤثر فيه إلا قليلا . وإمكانياته للمسرحية غنية عن التنويه .

## ٦ - أنيس زكى

موظف خائب ، زوج سابق . أب سابق . صامت ذاهل ليلا ونهارا . مثقف يقال ولا يملك من الدنيا إلا مكتبة دسمة . يخيل إلى أحيانا أنه نصف مجنون ، أو نصف ميت . نجح في أن ينسى تماما ما يهرب منه . نسي نفسه . توحى ضخامة هيكله بقوة كان يمكن أن توجد . يمكن أن تصفه بأي شيء أو ألا تجد له صفة على الإطلاق . سره في رأسه . يمكن أن تطمئن إليه كما تطمئن إلى مقعد خال . قابل للأستغلال الكوميدي ولكنه لن يكون له دور إيجابي في المسرحية .



يستحسن أن أختزل الشخصيات النسائية إلى اثنتين : البطلة لأهمية دورها ، وسناء لتشحد من حدة العاطفة في الدراما فضلا عن أن شخصية مراهقة عصرية خليقة بأن تضفي على المسرحية روحا جذابا لا يخلو من فائدة دراسية ، ثم أن إنتصار البطلة عليها في المعركة الغرامية يعد رمزا لانتصار الجدية على العبث في النطاق النسائي إذ لا جدوى من الجدية إذا لم تتغلغل جذورها في المرأة التي هي أم المستقبل .



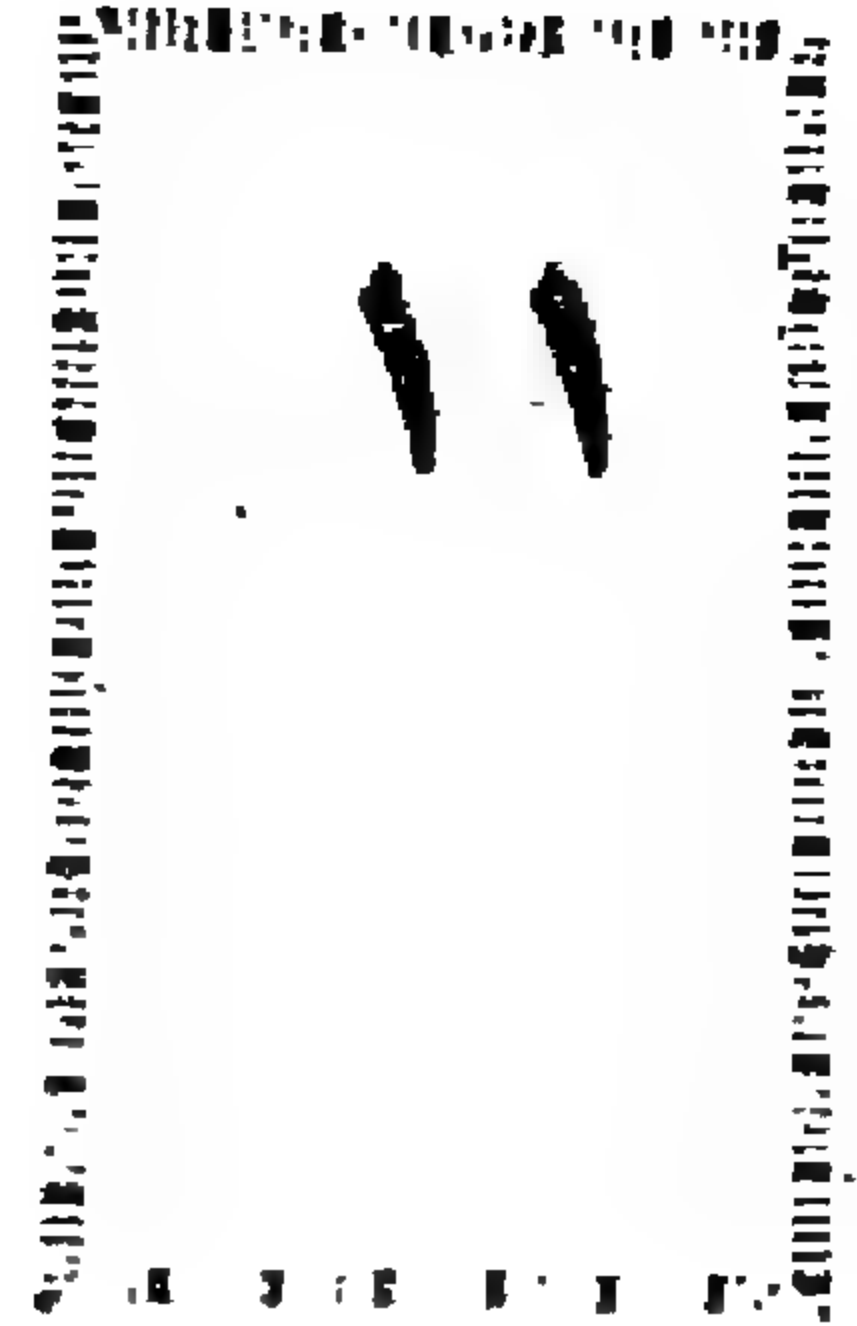
ولا ضرورة بعد ذلك لسنية كامل التي تمارس تعدد الأزواج على طريقتهما الخاصة ، ولا إلى المترجمة الشقراء العانس التي تتوهم أنها رائدة شهيدة على حين أنها رائدة متهاففة مدمنة منحلة .

\* \* \*

انتهت الكتابة في المذكرة ، وثمة عنوان هو "ملاحظات هامة " ولكنه يقوم وحيدا في وسط السطر ، ويليه بياض ، وفر الصفحات الباقية حتى الغلاف فلم يعثر على كلمة واحدة . نس المذكرة في جيبه وهو يتمتم " يا بنت الذين " . واستخرج المذكرة ثم أعاد قراءة ما كتب عنه ثم أعادها إلى جيبه . وضحك . ونظر إلى الفنجال الفارغ وهو يقول " لا فائدة " سيطول إنتظاره ، وربما صاحبه الأفاقة حتى ينعدق المجلس . وترامى من المصلى صوت عم عبده وهو يؤذن لصلاة المغرب فعاد يتمتم " يا بنت الذين ! " . وأهتزت العوامة مؤذنة بأقدام آتية فنظر نحو الباب وهو يتساءل عن يكون القادم المبكر ؟

ومن وراء البارقان ظهرت سمارة. بهجت !





إقتربت وهي تحييه بابتسامة متكفلة ، وضع له إنشغالها فقال :  
- لست كعادتك !

راحت تدور في المكان وهي تتفحصه :  
- مالك ؟

- فقدت أشياء مهمة .

- كانت معي في جلسة أمس . .

- وما هي ؟

- مذكرة خاصة بعمل ومبلغ تافه من النقود .

- أنت متأكدة من أنك فقدتها هنا ؟

- لست متأكدة من شيء .

- عم عبده يكنس المكان والزيال يأخذ الزيالة في الصباح .

جلست على فوتيل وهي تقول :

- لو أنها سرقت فلماذا لم يأخذ السارق الحقيبة كلها ، لماذا يأخذ المذكرة ويترك  
كيس النقود ؟

- لعلها سقطت منك ؟

- كل شيء ممكن . .

- أهي خسارة لاتعوض ؟

وقبل أن تجيبه اهتزت العوامة وارتفعت الأصوات . رجته بسرعة أن ينسى  
الموضوع وألا يعيد ذكره ، قالت ذلك وهي تنتقل إلى الشلثة وتتابع دخول الصحاب  
حتى تم للمجلس تمامه ، وتفرغ للجوزة بهمة ونهم وكان على درجة من الأفاقة غير

مألوفة فنشطت في أعماقه شياطين متحفزة للعبث . وأسترق إلى سمارة نظرة  
ماكرة . وقال مصطفى راشد مخاطبا سمارة :  
ثبت الآن أنك تجيئين مبكرة لتنفردى بأنيس !  
فقال بتسليم :

— ألا ترى أنه فارس أحلامي ؟  
فقال أحمد نصر :

— نحن فتيان ولكنه في الأربعين .

ويدون دعوة ظهر عم عبده عند البارقان وهو يقول :  
— غرقت عوامة في امبابة . .

إلتفتت نحوه الرءوس بشيء من الأهتمام ، وسأله أحمد نصر :  
— هل غرق أجد ؟

— كلا ولكن غرقت المحتويات .  
فقال خالد عزوز :

— نحن نعاني نقصا في المحتويات . في الأفراد .  
— وجاء بوليس النجدة !

— كان يجب أن يجيء أيضا بوليس الآداب . . .  
وتساءلت ليلي :

— لماذا تغرق العوامة ؟  
فأجاب العجوز :

— لغفلة الخفير .

فقال خالد عزوز :

— بل لغضب الرحمن علي من فيها .

فأمنوا على قوله ورجعوا إلى الجوزة . ولما ذهب عم عبده قال علي السيد  
— حلمت ذات ليلة أنني صرت في طول عم عبده وعرضه .

فخرج أنيس من صمته المؤلف قائلا :

— ذلك أنك تهرب من الأحلام والأدمان !

رحبوا بتعليقه ضاحكين ، وسأله علي :

— ولكن مما أهرب يا ولي النعم ؟

— من الخواء !



ولما سكت الضحك إستطرد :

— جميعكم أوغاد عصريون تهربون في الأدمان والأوهام الكاذبة . .  
وتجنب النظر نحو سمارة . وقهقهت شياطينه العابثة وتوالت تعليقات  
— أخيرا نطق !

— هذا مولد فيلسوف !

وبات مركز الأنظار ، وسأله مصطفى :

— وماذا عنى أنا ؟

— هارب من الأدمان والمطلق ، يطارذك الأحساس بالتفاهة .

وميز ضحكة سمارة وسط هدير الضحك ولكنه تجنب النظر إليها . تخيل  
إضطرابها الخفى وتخيل وجهها وتخيل مصارينها ثم واصل كلامه قائلاً :  
— كلنا أوغاد . أخلاق لنا يطاردنا عفريت مخيف إسمه المسئولية . .

قال رجب :

— يجب أن تؤرخ حياة العوامة بهذه الليلة .

وقال مصطفى راشد :

— أراهن على أن " غبارة " الليلة مهربة من موسكو !

وسأله خالد :

— أنيس أيها الفيلسوف ، وماذا عنى وماذا عن ليلي ؟

— إنك أباحى منحل لأنك بلا عقيدة وربما أنك بلا عقيدة لأنك منحل ،

أما ليلي فما هى إلا رائدة زائفة منحلة مدمنة . شهيدة كما تتوهم !

فصاحت به ليلي :

— قطع لسانك !

وأشار إلى سنية كامل قائلاً :

— وأنت تمارسين تعدد الأزواج يا مدمنة .

فصرخت :

— يا مجنون !

— كلا . . أنا نصف مجنون فقط ولكنى أيضا نصف ميت . .

— كيف تتجراً على هذه الوقاحة ؟

فقال على السيد ملاطفا .

— أغضبت حقاً يا سنية . . إنه ولى أمرنا

- أقبل أن أهان أمام غرباء . . .
- أوشك الوجوم أن يلتهم المرح ولكن رجب قال بتوكيد :
- • غرباء بيننا ، سمارة منا وعلينا . . .
- فقلت ليلي :
- إنها منا حقا ولكنها عليك أنت وحدك !
- فقال أنيس :
- • ، إنها • تبالي برجل يهرب من خوائه في الأدمان والجنس . . . صاح رجب في إنبساط :
- ليلتنا قل يا جدعان !
- من يصدق أنك أنيس الصامت !
- لعله يجتر كتابا عن تدهور الحضارة . . .
- ماتزال في جوفى قنبلة أدخرها للمدير العام ، ليهدأ الضحك المتفجر في باطنى حتى أرى الأشياء . هل تحطمت السلاسل التى تشد عوامتنا إلى الشاطئ ؟ .
- والبدر يتوثب لأقتحام باب شرفتنا الهش . أما الهاموش . فقد أدرك آخر الأمر سر إفتتانه المدمر بضوء المصباح .
- وقال رجب لسمارة :
- لست فى أحسن أحوالك !
- فقلت دون أن تنظر إلى سنية ولكنها نظرت إليها فى الواقع بفتور ندرتها :
- ذاك حال الغريب !
- • سنية إمراة الحنان ، وهى أم رءوم حتى فى عشقها . . .
- فقلت سنية فى سماحة :
- أشكرك ، أنت خير من يعتذر عنى للأخت سمارة .
- فقال خالد عزوز :
- • تبالغوا فى توطيد السلام والا حل بنا الملل .
- وساد صوت القرقرة وحده وانداحت موجاته فى شعاع القمر .
- قال له دمه المتدفق أن النوم عسير فى هذه اللحظة الهاجئة . وأنه سيشهد سهاد العاشقين بلا عشق . وراح يتذكر ما تيسر من أشعار المجانين . ٧ إختفى الحاضرون فلبث وحده مع الليل المضى . ورأى فارسا يركض جواده فى الهواء قريبا من سطح الماء فسأله عن هوايته فقال أنه الخيام وأنه نجح أخيرا فى الهروب

من الموت . إستيقظ على منظر سباقه المطروحة لصق الصينية ، طويلة بارزة العظام ، باهتة اللون في الضوء الأزرق . كثيفة الشعر ، كبيرة الأصابع ، مقوسة الأظافر من طول إهمالها بلا قص ، فكاد ينكرها ، وعجب لعضو من جسده كيف يبدو كالغريب ، ثم إنتبه إلى مصطفى راشد وهو يتساءل :

— نحن خفا كما وصفنا ولى الأمر ؟

فقال خالد عزوز :

— هروب ولا خلافة ولكننا نفهم حقيقتنا كما ينبغي لنا .

وقال على السيد :

— عوامتنا هي الملاذ الأخير للحكمة البشرية .

— هل الأستغراق في الأحلام هروب

— أحلام اليوم هي حقائق الغد .

— هل التطلع إلى المطلق هروب ؟

— أف . . وهل علينا من عمل سواه !

— وهل الجنس هروب ؟

— أخص ! . . إنه الخلق نفسه . .

— وهل الجوزة هروب ؟

— هروب من البوليس إذا شئت !

— أهي هروب من الحياة ؟

— إنها الحياة نفسها !

— فلماذا هاجمنا ولى الأمر ؟

— إنه لم يهرج من عشرة أعوام فأراد أن يخزي عين الحسود . . وهتف رجب

القاضي :

— ليلتنا فل يا جدعان !

ووصاهم أحمد نصر بشيء من الصمت كيلا تتبدد ثمرة السهرة ، ودارت الجوزة

دوراتها الختامية المركزة .

— إرتفع القمر عن مجال الأبصار ، وهو وحده الذي قرأ في نظرة سمارة هزيمة

حزينة . وتبدت وجوههم شاحبة ناعسة ، وجادة أيضا على رغمهم ، ورمق

مصطفى سمارة باهتمام وسأل عن رأيها فيما سمعت فقال رجب :

— لم يخلق آخر الليل للمناقشة .



فلماذا خلق ؟ . ذهبوا جميعا عدا على السيد وستية كامل .

وما لبثت الصالة أن خلت له . . وجاء عم عبده كالعادة فأنجز مهسته دون أن يتبادلا كلمة ثم ذهب . وزحف نحو الشرفة فرأى القمر من جديد متألقا في مركز القبة المرصعة ، ناجاه مغمغما أن ليس كعوامتنا شيء ، الحب لعبة قديمة بالية ولكنه رياضة في عوامتنا ، الفسق رذيلة في المجالس والمعاهد ولكنه حرية في عوامتنا . والنساء تقاليد ووثائق في البيوت ولكنهن مراهقة وفتنة في عوامتنا ، والقمر كوكب سيار خامد ولكنه شعر في عوامتنا ، والجنون مرض في أى مكان ولكنه فلسفة في عوامتنا ، والشئ شئ حيثما كان ولكنه . شئ في عوامتنا . أيها الحكيم القديم " إيبو - ور " أقدم بعصرك الذى أضمحل فيه كل شئ إ . الشعر وأسمعنا الغناء . حدثنى ماذا قلت لفرعون . أقبل الحكيم " إيبو - ور " وهو ينشد :

إن ندماءك قد كذبوا عليك

هذه سنوات حرب وبلاء

قلت إسمعنى مزيدا أيها الحكيم ! فأنشد :

ما هذا الذى حدث فى مصر

إن النيل . يزال يأتى بفيضانه

إن من كان . يمتلك أضحى الآن من الأثرياء

يا ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت

قلت ماذا قلت أيضا أيها الحكيم " إيبو - ور " ؟ فقال .

لديك الحكمة والبصيرة والعدالة

ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد

انظر كيف تمتهن أوامرك

وهل لك أن تأمر حتى يأتىك من يحدثك بالحقيقة .

استيقظ على صوت يهمس باسمه ، فتح عينيه وهو مستلق على ظهره في الشرفة فرأى هالة ناصعة في السماء تضي بالقمر المختفي عن ناظريه . أين المكان والزمان !

— أستاذ أنيس !

التفت فرأى سمارة واقفة فوق عتبة الشرفة . جلس معتمدا على ذراعية رافعا اليها عينين لم تفيقا بعد من سكرة الحلم .

— أسفة لعودتي في وقت غير مناسب . .

— أما نزال في نفس الليلة ؟

— مضى على ذهابنا ساعة ، أكرر الأسف .

تزعزع حتى اسند ظهره الى جدار الشرفة وحاول أن يتذكر

— عدت من ميدان التحرير بعد أن أوصلني رجب اليه .

— شرفت ، اليك حجرتي اذا تفرغت . .

قالت بجزع :

لم أعد لأنام ، وانت تعلم ذلك جيدا .

ثم بهدوء وهي تخفض عينيها :

— أريد مذكرتي . .

تساءل مقطبا :

— مذكرتك !

— اذا سمحت . .

تمطت شياطين العيب في نفسه فقال محتجا :

- تتهميننى بالسرقة !
- كلا . . ولكنك عثرت عليها بطريقة ما .
- هذا يعنى أنى سرقتها
- بالله ردها الى فلا وقت للكلام .
- انك مخطئة
- لست مخطئة
- انى ارفض أن أسمع التهمة مرة اخرى
- لاأتهمك بشيء رد الى مذكرتى التى فقدت منى هنا
- لا اعرف مكانها . .
- سمعتك وأنت تردد ما دون فيها
- لاافهم
- بل تفهم كل شيء ولاداعى لتعذيبى
- التعذيب ليس هوايتى
- الليل ينتهى بسرعة
- فسألها مداعبا :
- أتحاسبك ماما على التأخير ؟
- أستاذ ، كن جادا ولو دقيقة واحدة .
- نحن لانعرف الجد
- تساءلت فى قلق :
- هل تنوى افشاء سرها ؟
- من اين لك ذلك وانا لاادري عنها شيئا !
- كن لطيفا كالعهد بك
- لست لطيفا ، انا نصف مجنون ونصف ميت . .
- المدون فى المذكرة لا يمثل رأى فيكم ولكنه جملة الآراء التى أعدها للمسرحية .
- عدنا الى الألغاز والالهام
- مازلت طامعة فى كرم أخلاقك
- ما الذى حملك على هذا الظن ؟
- انك رددت كلماتى بالحرف



- الأ تؤمنين بتوارد الخواطر ؟
- انى مؤمنة بأنك سترد الى مذكرتى . .
- اذن فأنت تتصورين أنك قادرة على ان تقهى فى أيام ما أعجز عنه فى أعوام !
- وضحك ضحكة خرقت صمت الخلاء فوق النيل وقال بلهجة جديدة :
- افكارك فارغة ، صدقيني . .
- هتفت بارتياح :
- ها أنت تسلم
- سأردها اليك ولكنها لا تصلح لشيء
- ما هى الا ملاحظات مبدئية لم تدرس بعد
- لكنك فتاة رديئة
- الله يسامحك
- جئت لا لصداقة ولكن للتجنس
- قالت محتجة :
- لا تسيء بى الظن ، انى أحبكم حقا وأرغب فى صداقتكم ، وفضلا عن هذا وذاك
- فأننى أومن بأنه يوجد بطل كامن فى كل فرد ولم يكن يهمنى معرفة حقيقتكم بقدر أن
- أخلق منها ما ينفع المسرحية .
- لاتجهدى نفسك انتحال الأعذار فان الأمر فى الواقع لا يهمنى
- ومد لها يده بالذاكرة وهو يقول :
- أما الخمسون قرشا فيسرنى أن أظل مدينا بها اليك
- فتساعلت فى انزعاج :
- ولكن كيف اعنى . .
- كيف سرقته ؟ . . المسألة غاية فى البساطة فنحن نعتبر جميع ما تقع عليه اليد
- فى العوامة من القطاع العام
- بالله أعطنى تفسيراً يريح القلب
- فقال ضاحكا :
- كانت نزوة لاتقاوم . .
- أكنت فى حاجة اليها ؟
- أعطيتها بنتا من بنات الليل جاءنى بها عم عبده
- اذن كنت فى حاجة اليها . . ؟

- كلا ، لم يبلغ بى الفقر هذا الحد .
- اذن لماذا اخذتها ؟
- وجدت فى استغلالها على ذلك الوجه نوعا من القربى اليك !
- الحق انى لا افهم .
- ولا انا . .
- ولكن بدأت اشك فى منهجى كله .
- من الافضل الا يكون لك منهج على الاطلاق .
- ضحكت ، فقال :
- الا ما يوصلك الى الرجل المنشود !
- ضحكت مرة اخرى فعاد يقول :
- انى افهمك كما يفهمك الجميع .
- كانت همت بالذهاب فثبتت فى مكانها مستطلعة فقال :
- انك شرفتنا من أجل رجب . .
- فضحكت باستهانة فقال وهو يشير الى الحجرة المغلقة :
- حذار ان توقظى العاشقين !
- لست كما تظنون ، انى فتاة . .
- فقاطعها :
- ان كنت فتاة حقا فتعالى الى حجرتى لتثبتى ذلك !
- كم أنت ظريف ولكننى لم اعجبك . .
- لماذا ؟
- لانه فظيع ان تكون الفتاة جادة .
- ولكننى لا ادعو من الفتيات الا الجادات . .
- حقا ؟ !
- جميع بنات الليل جادات .
- الله يسمحك .
- لايعرفن العيب ، يعملن حتى الهزيع الاخير من الليل ، لا للهو اولذة ، ولكن
- لهدف تقدمى وهو ان يعشن حياة افضل !
- عيب هذه العوامة انه لايعرف بها الجد من الهزل :
- الجد والهزل اسمان لشيء واحد .

- تناهت مؤذنة بأنهاء الحديث غير انها ترددت لحظة ثم سألته :
- هل تنوى ان تفشى سر المذكرة ؟
  - لو كان ذلك فى نيتى لفعلت .
  - استحلفك بكل عزيز ان تصارحنى بما فى نفسك .
  - فعلت .
  - انى اخفى خير من ان اطرد .
  - لا اريد هذا ولا ذاك . صافحته مودعة وهى تقول بنبرة حميمة :
  - شكرا .
- ثم ذهبت مسرعة وصوت عم عبده يؤذن لصلاة الفجر
- \* \* \* \*





اهتزت العوامة مؤذنة بقدام جديد رغم تمام المجلس ، وتساءلوا عن  
 يكون ، ثم التفتوا نحو الباب باهتمام لا يخلو من قلق . وقام احمد نصر  
 ليعترض سبيل القادم عند المدخل ولكن ضحكة معروفة ترامت اليهم ثم  
 وضع صوت سناء وهي تهتف " هالو ! " . دخلت صاحبة وراءها شابا انيقا  
 فنهض رجب لا يستقبله وهو يقول :  
 - اهلا رءوف !

وقدمه للصحاب قائلا : " نجم الشاشة المعروف " . وجلس وسط ترحاب  
 رسمي فاتر . وقالت سناء بصوت أجرا من عاداته :  
 - اتعبنى حتى اذعن المجيء ، قال كيف نقتحم على ناس خلوتهم ، ولكنه  
 خطيبى والعوامة اسرتى !  
 وتلقت التهاني من جميع الشلت فعادت تقول وقد وشت انفاسها  
 بالشراب :

- وهومثلكم من اهل ذلك .

واشارت الى الجوزة ضاحكة ، ولم يبال انيس بالحرص وادار الجوزة بكل  
 نشاط . وقالت سناء :  
 - هذه فرصة سعيدة يارءوف ، اليك الناقد الكبير على السيد ، والكاتبة  
 المعروفة سمارة بهجت ، ومن تجمعهم الجوزة لايفرق بينهم رأى او ذوق !  
 فقال رجب :

- لكن سمارة للأسف لاتتعامل مع الجوزة .  
 فتساءلت بسخرية :

اذن فلماذا تدمن على زيارة العوامة ؟

وهمس رءوف في اذنيها بكلمات لم يتبينها أحد ولكنها ضحكت في استهتار . وجاء عم عبده ليغير ماء الجوزة فلما ذهب قالت سناء لرءوف :  
- أتصدق ان كل هذا البناء رجل واحد ؟ !

وضحكت ولكن وحدها . وساد صمت متوتر مقدار ربع ساعة ثم اقنعها رءوف بوجوب الذهاب فقام أخذا بذراعيها وهو يقول :  
- معذرة ، لابد من الذهاب لموعد عاجل ، فرصة سعيدة . .

اوصلهما رجب حتى الباب ثم عاد الى مكانه وتجهم المجلس رغم دوران الجوزة ، وجعل رجب يبتسم الى سمارة ملاطفا ولكنه قالت وهي تومىء الى الجوزة :

مهما قلت فلن يصدقني أحد فقالت ليلي زيدان :  
- على اى حال فليست هي بالتهمة الشائنة . .  
- الا عند الاعداء .

فقال رجب ببساطة :

- لا اعداء لك الا الرواسب البرجوازية .

ولكنها تكلمت عن الأشاعات في الوسط الصحفى وذكرت مسكنها القديم في المنيل وكيف كانت عودتها المتأخرة الى البيت ثيرا لقيلا والقال بين الجيران .  
- ولما قالت ماما لهن ان عملها في الصحافة يضطرها الى ذلك قلن ما الذى اضطرها للعمل في الصحافة !  
فقال رجب :

- لكنك تقيمين الآن في شارع قصر العيني . .

واراد مصطفى ان ينكش انيس لعله يجدد ثورة الامس فيبدد وجوم المجلس ولكنه لم يخرج من عالمه . كان يفكر في الحلقات المفرغة التى تحاصره كل يوم كشروق الشمس وغروبها وبزوغ القمر وافوله والحضور والانصراف فى الوزارة والاقبال والادبار فى الجلسة والصحو والنوم تلك الحلقات المذكرة بالنهاية التى تجعل من اى شىء لاشىء . وقد دار معها الآباء والأجداد وتنتظر الأرض انتظارا لا يعرف الجزع لتستمد من آمالنا ومسرانا أسمدة لتربتها . فلا بأس أن تحتدم الأشواق فى سحابات الدخان المضمخ بشذا السحر المحرم الغامض .

اما ليلي فتعذب نفسها بالحب العقيم وتوغل في الفضاء كسفينة كونية  
افلتت من مدارها . واله الجنس يمد ساقه حتى استقر حذاؤه الابيض لصق  
المجمره وهو يرامق الفتاة المزعجة اللذيذة بنظرات متسللة من عينية  
السوداوين الجذابتين . وكلام كثير قيل عن سناء وخاطبها ولكن رجب لم  
يشترك فيه . ولما انتبه الصباح الى انهماكه الكلى في سمارة قال مصطفى  
راشد : نحن سعداء اذ نعاصر قصة جب كبير .

فقال خالد عزوز :

ـ فلنسمه باسمه الحقيقي .

فقال احمد نصر :

ـ بالله لا تفسد علينا الحلم .

فقالت ليلي زيدان :

ـ الجديد فيه ان احد طرفيه انسان جاد .

وتساءل خالد عزوز :

ـ ترى ما موقف محبة جادة من محب عابث ؟

فأجاب رجب :

ـ تظهره من عبثه .

ـ واذا كان العبث جوهره الذى لايتغير ؟

ـ لامفر من انتصار الحب فى النهاية .

وضحكت سمارة هازئة . فقال خالد :

ـ يهمنى ان ارى فتاة جادة وهى تحب ، اذ ان انزلاق قدم وزير اضحك بكثير

من انزلاق قدم بهلوان . فقال على السيد :

ـ لافرق فى الحب بين جادة وعابثة ، الجدية دعوة الى الاهتمام العملى

بالشئون العامة اسوة : بالشئون الخاصة . .

فغمز خالد بعينه ناحية سمارة وتساءل :

ـ بأى الناحيتين تراها مهتمة الآن ؟

وارتفع الضحك ثم عاد خالد يتساءل :

ـ هل ثمة أمل فى تطويرنا نحو الاهتمامات العامة ؟

ـ ان امالها متعلقة بالجيل الجديد .

فنظر خالد نحو رجب قائلا :



– الظاهر ان جيل الاربعين لم يعد يصلح الا للحب . .

– هذا اذا كان يصلح له حقا

فقال احمد نصر :

– الجيل الجديد خير منا .

فتساءل مصطفى راشد : اليس ثمة أمل في أن نتغير نحن ؟

فأجاب خالد :

– نحن نتغير عادة في المسرحيات والأفلام وهذا هو سر ضعفها .

فقال على السيد :

هذا هو سر نجاح الهزليات التي تصورنا على حقيقتنا .

– لماذا لا تعترف بذلك في مقالاتك ؟

– لأننى منافق . . . وقد عينت بقولى السابق الهزليات الغربية راما هزلياتنا

المحلية فتنتهى عادة بتغير مفاجيء للمثل الهزلى فى شكل موعظة سخيفة ،

ولذلك فالفصل الثالث يكون عادة اضعف فصول المسرحية ، يكتب فى

الواقع للرقابة .

والتفت خالد نحو سمارة وقال :

– اذا فكرت يوما ان تكتبى مسرحية عن اناس مثلنا فأنصحك كزميل فى الفن ان

تختارى الشكل الهزلى ، اعنى المهزلة او اللامعقول فكلاهما شئ واحد . .

فقالت متجاهلة نظرات رجب :

– فكرة تستحق الدراسة !

– تجنبى الابطال الهادفين الذين لا يبتسمون ولا ينطقون الا عن المثل الاعلى

ويدعون الى كيت وكيت ، ويحبون بصدق يضحون ويرددون الشعارات ثم

يقتلون فى النهاية النظارة بصدق دمهم .

– سأعمل بنصيحتك واكتب عن الاخرين الذين يقتلون النظارة بخفة دمهم .

– ولكن هؤلاء ايضا مشكلتهم الفنية انهم يعيشون بلا عقيدة يقضون

اوقاتهم فى العبث لينسوا انهم سيتحولون بعد قليل الى رماد وعظام وبرادة

حديد وأزوت ونيتروجين وماء ، ويرهقهم فى ذات الوقت أن الحياة اليومية

تفرض عليهم الوفا من الجدية الحادة التى لامعنى لها ، وان مجانين من

حولهم يهددونهم بالنسف فى أى لحظة أمثال هؤلاء لا يعلمون ولا يتطورون

فكيف تصنعين بهم فى مسرحية ترجين لها النجاح ؟

— هذه هي المسألة !

— وثمة مشكلة أخرى ، أن أحدهم لا يختلف عن الآخر إلا في القشور ذلك أن أحدهم لا يكون شخصية ولكنه يتكون من عناصر متحللة كبناء متهدم . ونحن قد نفرق بين بيت وبيت ولكن كيف نفرق بين كومين من الاحجار والاشباب والزجاج والخرسانة والملاط والتراب والطلاء ؟ . . انهم كلوحات الفن الحديث . . الواحد كالآخرين فكيف تبررين تعدد الشخصيات فوق المسرح ؟

— انك توشك ان تنصحنى بالعدول عن الأدب !

— كلا ولكنى أقول لك انه كما أن الطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين فان مسرح العبث للعبثيين ، لن يحاسبك الأخ على السيد على انعدام الحدث او الشخصية أو الحوار ولن يخرجك أحد بالسؤال عن معنى هذا أو ذاك . ولما كان لا يوجد أساس للتقييم فلن يهزك من يخفضك وستجدين من يرفعك ومن يقول بحق أنك عبرت بمسرح فوضوى فى عالم ماهيته الفوضى . .

— ولكننا لا نعيش فى عالم ما هيته الفوضى !

فقال وهو يتنهد :

— هذا فراق بينى وبينك ويمكنك الآن ان تعودى الى نظرات الأخ رجب !

لأشء هنا يدور بيقين وهو يعرف هدفه الا الجوزة . وعما قليل سيهبط النعاس من موطنه السحرى بين النجوم فيعقل الالسنه والراجح أن العشق الجديد سيثمر قبلة من الهزيع الأخير من الليل تحت شجرة ، ومن قبل دارت الأرض ملايين السنين حتى أثمرت هذا المجلس فوق سطح النيل . واختفى القمر عن ناظرية ولكنه رأى البرص فوق باب الشرفة . يجرى ثم يتوقف ثم يجرى كأنما يبحث عن شىء . وتساءل :

— لماذا توجد حركة ؟

فالتفتوا نحوه متوقعين مفاجأة ما ، وسأله مصطفى :

— اى حركة تعنى ياولى الأمر ؟

فتمتم وهو يواصل عمله :

— أى حركة . .

\* \* \*

ولما كان اليوم عطلة رسمية لمناسبة الهجرة فان انيس قضى النهار بين الشرفة والصالة غائبا في انسجام شامل ، وقبيل المغيب جاء عم عبده ليعد المجلس فهنا انيس بالعيد لثالث او لرباع مرة وهو يظن انه يهنئة لأول مرة .  
وسأله انيس عما يعلم عن العيد فأجاب الرجل بأنه اليوم الذى هاجر فيه النبى من الكفار ، ولعن الكفار ، فقال أنيس :

- سوف يملأون هذا المجلس الذى تعده بعد قليل !
- فضحك العجوز غير مصدق فمضى انيس فى عبثه قائلا :
- انك يا عم عبده هارب من الايمان .
- هارب ! . . . جئت الى هنا ذات يوم فوق عربة قطار .
- من أى بلد ؟

- أووه . .

- من أى جريمة هربت ؟

- أووه . .

انه مصر على النسيان فلعله جاء هربا من جريمة او حملته موجة الثورة سنة ١٩١٩ . انه لم يغد يدرى ولن يدرى أحد .

وسأله موغلا فى العبث :

- أنت جاد يا عم عبده ؟

- أووه . .

- ألم تعلم بأن سمارة نبية جديدة ؟

- استغفر الله العظيم .



- وقد جندت منا جيشا سنحارب به العدم ثم نسير الى الامام . .
- فسأله الرجل بسذاجة :
- الى اين ؟
- الى السجن او مستشفى المجاذيب .
- فقال وهو يمضى الى صلاة المغرب :
- انى أبحث عن قط لكثرة الفئران فوق الجسر .
- وما لبث أن جاء الصحاب مبكرين عن مواعدهم احتفالا بالعطلة الرسمية .
- وشيرع أنيس فى نشاطه ، وتحدثوا بعض الوقت عن شئونهم العائلية . واعلن رجب عن عزمه على رفع اجره فى الفيلم الى خمسة الاف جنيه فهناه خالد عزوز وقال له انه بذلك يثبت ولاءه للاشتراكية العربية . وضحك رجب ولكنه لم يعلق على قول صاحبه وراح يتحدث عن سناء وكيف تظهر مع رءوف فى المجتمعات والاستديوهات بصفتها خطيبته مؤكدا أن الخطبة لن تتوج بالزواج وهنا تساءلت ليلي زيدان :
- حتى متى تظل شلثة الجدية شاغرة ؟
- فأجاب على السيد :
- عادت من البعثة الصحافية من زيارة المصانع أمس وستجىء سمارة الليلة غالبا .
- وقال خالد عزوز لرجب :
- حدثنا بصراحة عن علاقتك بها .
- فابتسم دون أن يجيب فقال خالد :
- هل ثمة جرسنييرة أجرت من وراء ظهورنا ؟
- كلا ، يجب أن تصدقونى فليس بين أهل العوامة سر !
- اذن فيجب ان تعترف بأول هزيمة تحل بك فى حياتك . .
- كلا ولكنى لم أركز الهجوم كى أستعيد ذكريات الهوى العذرى !
- اذن يوجد حب ؟
- طبعا .
- من ناحيتك أيضا ؟
- جذب نفسا طويلا ثم زفره متأنيا وقال :
- لاأخلو من حب

تساءلت سنية كامل :

— حب رجبى ؟

— ولكنه موديل جديد !

— هذا يعنى أنه لا شىء من حيث الجوهر

— فلننتظر حتى نرى

فقال احمد نصر :

انها جميلة حقا

فقال على السيد :

— ولكنها ذات شخصية قوية

فقالت سنية كامل :

— انها صفة منفرة لدرجة ما فى المرأة

فحدجتها ليل بنظرة استياء فاستدركت فى مرج :

— الا فيما ندر . .

وقال رجب :

— ان عظمة الغزاة تقاس بمناعة الحصون التى يفتحونها . .

فقالت ليلى زيدان :

— ولكن الذرة لم تجعل للحصول قيمة ولا للغزاة فضلا ! .

فقال احمد نصر :

— انها رفضت زواجا فاخرا وهذا تصرف يستحق الاعجاب فى ذاته .

قالت سنية كامل :

— لاتحكم من قبل ان تعرف ( ثم متوجهه الى رجب ) الم تلمح لك بطريقة ما الى

الزواج ؟

— الزواج يجىء أحيانا بلا تلميح كالموت . .

— صارحنى أيمكن ان تفكر أنت جديا فى الزواج ؟

تردد قليلا قبل ان يقول لا ، أثر فى النفوس تأثيرا عميقا لماذا لا ادفع

بالمجمره الى شرفة لأستمتع بمهرجان اللهب ان توهجه خالد لا كتوهج

النجوم الزائفة ، ولكن المرأة كالغبار لاتعرف برائححتها الدسمة ولكن عندما

تستقر أنفاسها المحترقة فى الاعماق وكليوباطرة على كثرة غرامياتها لم يعرف

سر قلبها . وحب المرأة كالفن الهادف لاشك فى سمو هدفه ولكن تحوط بنزاهته

الريب . ولا ينتفع مخلوق بهذه العوامة كالفئران والصراصير والابرص  
وليس كالحزن شيء يقتحم عليك المأوى بلا دعوة . وأمس قال لي الفجر عند  
طلوعه انه في الحقيقة لا اسم له

وانتبه اليهم وهم يتناقشون في اللحوم البلدية والسماك الروسى والعملية الصعبة  
والمعادلة العسيرة ، ثم يضجون بالضحك . واهتزت العوامة مؤذنة بقادم فساد  
الصمت ثم تمت سنية كامل :

— العروس !

جاءت سمارة مريحة نشيطة فصافحتهم بحرارة وهنأتهم بالعيد . وسرعان ما  
سئلت عن الرحلة فأجابت بأنها كانت رائعة ، وان عليهم ان يقوموا بمثلها لكي  
يخلقوا خلقا جديدا . ونقل خالد عينيه بين الحاضرين ثم تساءل :

— ترى يمكن ان نخلق خلقا جديدا ؟

تبادلوا النظرات ثم اغرقوا في الضحك وقال لها مصطفى راشد :

— الحق عليك ، انك لم تكشفى لنا عن سر جديتك وحماسك !

— لن أقع في الشرك !

— واضح أنك في الايمان القديم مثلنا ، ومثلنا ايضا في الطبقة التى تنحدر نحو  
الهاوية ، فكيف عثرت بعد ذلك على معنى ؟ .

وخبرينا على الأقل ما هو ؟

ترددت مليا ثم قالت :

— انها الحياة لا المعنى . .

— نحن نشعر بدفعها في غرائزنا ، وفي تلك الحدود نمارسها على خير وجه . .

— كلا . .

— سبق ان قلنا لك . .

قاطعته :

— بعض غرائزها تعبد الموت كما تعلمون . .

— والمخرج ؟

— الخروج من القوقعة . .

كلام طلى ولكنه لا يقدم ولا يؤخر .

— الحياة فوق المنطق .

عند ذاك قال لها رجب :



— عودى الى حذرك فقد وقعت فى الشرك .

وجاء عم عبده ليغير ماء الجوزة فأتى له على السيد على جودة الصنف فقال الرجل :

— أمس نصحتنى المعلم بأن نشتري تموين شهر لأن المخبيرين يراقبونه .

— مؤامرة لا بتراز أموالنا فلا تصدقه .

وسألته سمارة :

— وأنت يا عم عبده الا تخاف المخبيرين ؟

فأجاب عنه مصطفى راشد :

— لقد طعن فى السن لدرجة تجعله فوق القانون !

ولم نجم فى الاتفاق كبسمة صافية سأله عن المخبيرين وهل يراقبون المعلم حقاً فأجاب بأنهم يراقبون المفيقين لا المساطيل ، وان النجوم تلمع كلما اقتربت من الأرض وتخبو كلما أوغلت فى الفضاء وان بعض الأضواء التى تزين القبة صدرت فى الأصل عن نجوم قد كفنها العدم ، وإن القوة التى تسخر كلاً من القوى من القوة التى تسخر لأشياء وتهاوى شهاب فجأة حتى خال انه استقر وراء العوامة فوق البنفسج وقال :

— جميع موظفى الادارة اخذوا مكافآت تشجيعية سوى . ولعن أحمد نصر المدير العام فقال أنيس

— وقفت فى الحجرة غاضباً لاعلن احتجاجى لكن غلبنى الضحك

وضحكوا ولكنه هز كتفيه وتذكر على السيد كيف كانوا يحتفلون فى القناطر فقال رجب القاضى :

— خير احتفال بالهجرة أن نهاجر . .

وتألق وجهه بخاطر جديد فيما بدا فقال

— ما رأيكم فى أن نجوب الخلوات فى سيارتى ؟

— ولكننا لم ننسطل بعد . .

— ننطلق بعد منتصف الليل

رحبت سمارة بالاقتراح وقال أحمد نصر ان فى الحركة بركة ولم يعترض أحد الا انيس الذى تمتم

— لا

ولكن هل تمضى القافلة فى سيارتين ؟ بل فى سيارة واحدة والا فلا معنى لها كيف

والسيارة لا تتسع الا لسبعة ونحن تسعة ؟ . فلتجلس ليلى على حجر خالد وسنية  
على حجر علي . وتضاعف الحماس للرحلة التي جاءت بغير تدبير سابق . وقال  
أنيس بفتور  
لا

ولكنهم أصروا على اصطحابه ، وهل تتم مغامرة كهذه بغير ولى الأمر ، ورفض  
أن يتحرك أو ان يغير ملابسه فأصروا على أخذه ولو بالجلباب . وعند منتصف الليل  
قاموا للذهاب واذعن انيس لهم على كره ومضوا نحو السيارة مبكرين عن موعدهم  
فوقف عم عبده أمام كوخه كالنخلة وهو يتساءل :  
- هل انظف المكان ؟  
فقال انيس :  
- اترك كل شيء على حاله حتى نرجع .



تحركت السيارة تحمل في المقعد الأمامى رجب وسمارة وأحمد نصر على حين تكس الباقون في المقعد الخلفى كجسد مقلطح ذى خمسة رؤوس . اتجهت نحو شارع الهرم في شبه خلاء من المارة والسيارات . واقترح رجب طريق سقارة مجالا للرحلة فلاقى اقتراحه استحسانا ممن عرف الطريق ومن لم يعرفه . أما انيس فقبع في جلبابه صامتا وقد ضغط في جانب السيارة الأيمن قطعوا طريق الهرم في دقائق ثم انعطفوا نحو طريق سقارة وهناك انسابت السيارة في سرعة غير عادية في طريق مظلم مقفر . ووضحت معالم الطريق بعض الشيء على ضوء السيارة فاذا به يمتد في الظلام بلا نهاية محفوفاً من الجانبين بأشجار الجازورينا الضخمة تتلاقى أغصانها في الأعلى ، ويكتنفه من الناحيتين قضاء ريفى المنظر والنسمة والوحشة ، يجلله الصمت ، ويشق جناحه الايسر بطول الطريق ترعة قاتمة الوجه تنضح بعض سطوحها بلون رصاصى غامق مميز عما حولها تحت ضوء النجوم الخافت وازدادت السيارة سرعة وتدفق الهواء من النافذة جافاً منعشاً مشبعاً بأخلاط النباتات وقالت سنية كامل لرجب :

— هدىء السرعة .

وقال خالد عزوز :

— لاتجاوز السرعة اللائقة بمساويل

وسألت سمارة

— أنت من هواة السرعة ؟

فضحك وخفض السرعة شبيهاً ما ، وقال :

— نحن نزور الآن قرافة فرعونية قديمة فلنقرأ الفاتحة .



وسرعان ما استردت السيارة سرعتها الأولى فاقترح خالد أن يتوقفوا قليلا ليتجولوا في الظلام ! رحبوا جميعا بالاقتراح فمضت السيارة تهدىء من سرعتها ثم مال بها رجب الى رقعة متربه بين شجرتين ووقف فتحت أبواب وغادرها أحمد وخالد وسنية وليلى ومصطفى وعلى . ترحلح انيس عن الباب المغلق وجلس جلسة مريحة لأول مرة وهو ينفض جلبابه ليطلق سراحه ويفتش بقدمه عن فردة شبشبه التى انسلت في الزنقة ولما دعوه الى اللحاق بهم قال بايجاز :

— كلا

فقبض رجب على يد سمارة التى همت بالخروج وهو يقول

— لايجوز ان نترك ولى الامر وحده !

ابتعدت القافلة نحو شاطئء التربة وهم يتكلمون ويضحكون انقلبوا اشباحا تحت أشعة النجوم وسرعان ما اختفوا تماما فى توغلهم فلم يعد يجىء من نا حيتهم الا اصوات مجرده وتساءل أنيس بنبرة خاملة

— ما معنى هذه الرحلة ؟

فأجاب رجب معابثا :

— المهم الرحلة لا المعنى !

هممت سمارة احتجاجا على التعريض بها ولكن انيس تشكى قائلا :

— الظلام يبعث على النوم . .

فقال له بحماس :

— أنعم بالنوم يا ولى الامر .

والتفت نحو سمارة وقال :

— يجب ان نتكلم عن شئوننا بصراحة توافق الصدق الفطرى المحيط بنا .

يعز النوم على من يشاهد كوميديا غرامية . والصدق يحلو بعد منتصف الليل فى

طريق سقارة وها هى ذراعه تزحف فوق مسند المقعد كل شىء يحتمل أن يحدث فى

طريق سقارة

— اجل لنتكلم عن حبنا . .

— نا ؟

— نا . . . نا . . . حبنا هذا ما عنيته تماما

— يتعذر على أن أتعامل مع إله .

— يتعذر على أن شفتينا لم نتعارفا بعد !

- حولت رأسها نحو الحقول كأنما لتصغى الى صرار الليل والضفادع وتمتعت ما  
أجمل النجوم فوق الحقول ترى أى أفكار جديدة دونت في المذكرة ؟ وهل يقدر لنا  
ان نرى انفسنا فوق خشبة المسرح ذات ليلة وان نقهقه مع النظارة  
- اعرف ما تودين قوله -  
- هيه ؟  
- انك لست كالأخريات ؟  
- أنت تقول ذلك  
- ولكن الحب . .  
- ولكن الحب ؟  
- انك لا تصديقيني !  
- أين الصدق في هذا الظلام ؟ وما تعنى أصواتنا للحشرات ؟  
وانت في الاربعين وعليك ان تغير دورك في الافلام المقبلة الا ترى كيف انطوى  
كازنوف الهائل في مكتبة الدوق ؟  
- لاتقل رواسب برجروازية من فضلك .  
- فكيف أفسر خوفك  
- انا لا أخاف  
- اذن فهي عقدة الثقة ؟  
- سمعتك تردد ذلك في فيلم  
- لعل لم أومن بعد بالجدية ولكنى أمنت بك .  
- انها عقده دون جوان !  
اشباح تتراءى في الحقول أو في الرأس كالقرية في الايام الخالية الزوجية والابوة  
والطموح والموت والنجوم قد عاشت بلايين السنين ولكنها لم تسمع بعد عن نجوم  
الارض لاشباح هناك ولكنها اشجار وحشية اهملت وسط الحقول .  
- ممكن ان التزم بالبراءة حتى نتزوج !  
- نتزوج !  
- ولكن بى شيطان يثور على الروتين . .  
- الروتين . .  
- بالاشارة تفهمين كل شىء ولكننى لاافهمك . .  
اين الشرفة وصوت تلاطم الامواج اين والجوزة ورائحة الماء





وعم عبده اين والخواطر التى تومض كالبرق ترتطم بأشباح الجازورينا ثم تختفى ولكن أين .

— لماذا رفضت الزواج من الرجل المرموق ؟

— لم أقتنع به

— يعنى لم تحبيه ؟

— اذا شئت . .

— انه مثلى فى الاربعين ؟

— ليس ذلك .

— الاقتناع مهم فى الاختيار الحر لا فى الحب .

— لا ادرى .

— والجنس ؟

— سؤال جدير بالاهمال

وصاح انيس بصوت بدد دأب الليل :

— تعيد وتبويب للسن والحب والجنس يا ذرية علماء النحو . .

التفتا نحوه فى انزعاج ثم ضحكا . وقال رجب :

— ظننتك نائما

— حتى متى نبقى فى هذا السجن ؟

— مكثنا ساعة

— ولماذا لم ننتحر ؟

— كنا نحاول الحب !

وترامت من جوف الليل أصوات القافلة . ثم لاحت أشباحهم مبعثرة وهى

تقترب . أقبلوا نحو السيارة ثم أحاطوا بمقدمها أجل ياعزيزى كان من السهل قتلك

فى الخلاء وأسفاه على ايام الفرسان والصعاليك . وقال خالد انه أوشك أن يركب

الخطيئة الاولى لولا الرائدة الزائفة وقال مصطفى راشد :

— وفى الظلام قررنا أن نختبر عصريتنا فاستيقنا الى الاعتراف بأخطائنا .

أثنى رجب على براعة الفكرة فاستطرد مصطفى :

— واعترف كل منا بأثامه . .

— أثامه ؟ !

— اعنى ما يعتبر كذلك لدى رأى العام ؟

- وكيف كانت النتيجة ؟
- رائعة .
- كم منها ما يعد جريمة
- عشرات
- وما يعد جنحة ؟
- مئات .
- ألم يرتكب احدكم فضيلة ما ؟
- المدعو أحمد نصر ؟
- لعلك تعنى اخلاصه لزوجته ؟
- وللتعليمات المالية ولائحة المخازن والمشتريات .
- وكيف كان رأيكم فى انفسكم ؟
- أجمعنا على اننا طبيعيون لا يشيننا شئ وان الاخلاق التى تديننا اخلاق ميته
- مستوحاة من عصر ميت ، واننا رواد أخلاق جديدة صادقة لم ينتظمها التشريع
- بعد . . .
- برافو . . برافو . .
- استسلم لمنظر الأشجار وهى تطوق الطريق على طوله باحكام جمالى خارق . لو
- تبادلت مواضعها على جانبى الطريق لانهارت العلوم والمعارف . وها هى حية
- تسعى حول غصن تريد أن تقول شيئاً . أجل قولى شيئاً يستحق ان يسمع . ولكن
- ما العن الضوضاء .
- دعونى اسمع !
- فضحكوا لزعقته . وتساءل مصطفى :
- ماذا تريد ان تسمع ؟
- وتكدسوا فى السيارة فانضغط فى الباب كاول الامر واختفت الحية تماما وقال
- رجب :
- سيقودكم سائق عصرى !
- تحركت السيارة وهى تزمجر كالعاصفة ، ثم انطلقت فى قوة ومضت تستزيد من
- سرعتها حتى بلغت ذروة جنونية .
- ندت ضحكات هستيرية ، واصوات متهذجة . ثم ارتفعت احتجاجات
- واستغاثات . انهالت الاشجار متطايرة الى الوراء واجتاح الاجساد احساس اهوج

بالتردى فى هاوية وتوقع مفزع بالارتطام فى قرارها .  
 - جنون . . هذا جنون .  
 - سيقضى علينا بلا رحمة .  
 - قف . . يجب ان نسترد انفسنا .  
 - لا . . لا . . حتى الجنون يجب ان يقف عند حد . .  
 لكنه رفع رأسه فى نشوه مخيفة ورفع السيارة الى اقصى سرعة وهو يصرخ  
 كالهنود الحمر فأضطرت سمارة الى مس ذراعة هامسة :  
 - من فضلك . .  
 وقال خالد بعصبية :  
 - ليلي تبكى فأرجع الى صوابك !  
 آة مات الخيال ولم يبق فى الرأس الا ضغط الدم . القلب يهبط كأسوأ نكسات  
 البلوعة . اطبق جفنيك حتى لا ترى الموت بعينيك .  
 فجأة دوت صرخة مروعة . فتح عينيه مرتعدا فرأى شبحا أسود يطير فى  
 الهواء . ارتجت السيارة بعنف وكادت تفقد توازنها وهصرتهم فرملة شديدة  
 فأرطموا فى المساند والابواب وانعصروا فى تأوه وحشى .  
 - شخص ما تحطم .  
 - قتل عشر مرات .  
 - نهاية متوقعة .  
 - ليلة سوداء .  
 صاح رجب بصوت اجش :  
 - تمالكوا انفسكم  
 وقام نصف قومة ينظر الى الوراء ، ثم جلس مرة اخرى ودفع السيارة  
 فأنطلقت . مال احمد نصر نحوه كالمستطلع فقال بتصميم :  
 - يجب ان نهرب . .  
 وركبهم صمت مريض فأستدرك :  
 - هو الحل الفجيد ؛  
 لم ينبس احد بكلمة حتى همست سمارة :  
 - لعله فى حاجة الى مساعدة ؟  
 - لقد انتهى .



— فقالت بصوت اعلی درجة :

— لايمكن القطع برأى .

— لسنا اطباء على اى حال

فوجهت سؤالها الى الجميع :

— مارأيكم ؟

ولما لم يتحرك لسان تتمم :

— اظن . .

واذا به يفرمل غاضبا حتى وقف بالسيارة فى وسط الطريق ثم التفت اليهم

قائلا :

— لن يقال غدا اننى قررت الهرب برأى وحده ، انى رهن اشارتكم فما رأيكم ؟

ثم صاح محتجا على الصمت :

— أجيبونى ! . . اعدكم بأن اصدع بما تأمرون

قال خالد

— يجب ان نهرب هو الحل الوحيد . .

فقال احمد نصر :

— ابتعدنا عن الطريق لنتهيا لنا فرصة للتفكير فى مكان آمن . .

— لاوقت للمداولة اريد رأيا صريحا . .

فقال على السيد :

— امض يجب ان نهرب ومن عنده رأى آخر فليتكلم .

وقال مصطفى فى جزع

— تحرك والا ضاع الامل

ويكت ليل فسرت عدواها الى سنية . عند ذاك التفت رجب الى سمارة قائلا :

انه اجماع كما ترين

ولما لم تنبس حرك السيارة وهو يقول :

— تحن فوق الأرض لا على خشبة مسرح

انطلقت السيارة فى سرعة الى رزينة وهو يقودها واجما مخشبا وقد غشاهم

صمت جنائزى وأغمض عينيه ولكنه رأى الشبح الأسود وهو يطير فى الهواء ترى

أما زال يتألم ؟ . ألم يعرف لماذا وكيف قتل ؟ أو لماذا وجد ؟ أم انتهى الى الابد ؟

وهل تمضى الحياة كأن شيئا لم يكن ،

استمرت السيارة في انطلاقها حتى وقفت امام العوامة غادروها صامتين وتخلف رجب ليفحص مقدمها واستقبلهم عم عبده واقفا ولكن لم يلتفت اليه احد . وتبدت في ضوء المصباح وجوههم الشاحبة المنهزمة ومالبث أن لحق بهم رجب بوجه متصلب لم ير من قبل .

ولم يعد الصمت يحتمل فقال على السيد :

— ليس بمستحيل ان يكون حيوانا !

فقال احمد نصر :

— الصرخة كانت صرخة انسان . .

— ترى هل يؤدي التحقيق الى التعرف علينا ؟

— لن نجنى من الفكر الا الارق

— وتمتم رجب

— واراقتنا برئيه !

فقالت سمارة

— ولكن الهروب جريمة

فقال بحده

— لم يكن منها بد وقد أيدها الجميع .

وراح يتمشى بين الشرفة والبارقان ثم قال :

— انى حزين جدا ولكن يحسن بنا ان ننسى الموضوع كله

— ياليتنا ننسى . . .

— يجب ان ننسى ، أى تصرف آخر كان يعنى القضاء على سمعة ثلاث سيدات ،

وينهدلة الآخرين ، وسوقى أنا الى المحكمة . .

وجاء عم عبده فنظروا اليه في تبرم ولكنه قال دون ان يلحظ شيئا :

— اى خدمة ؟

فأشار له رجب ان يذهب فمضى قائلا .

— انا ذاهب الى المصلى . .

تناءل رجب بعد ذهابه :

— ترى هل فهم العجوز شيئا ؟

فأجاب انيس :

— أنه لا يفهم شيئا .

فقال رجب بعصبية :

— يحسن بنا ان ننصرف .

فصدق خالد على قوله قائلاً :

— الفجر وشيك الطلوع . .

وذهب خالد ولىلى وسنية وعلى ومصطفى واحمد . وقال رجب لسمارة :

— انى اسف على تكدير صفوك ولكن تعالى لأوصلك . .

هزت رأسها بتقرز قائلة :

— ليس فى تلك السيارة . .

— هل تؤمنين بالعقاريت ؟

— كلا ولكنها صدمتني أنا . .

— لاتبالغى فى الخيال . .

— الحق انى محطمة .

— على اى حال فلن اتركك سنسير معا حتى تجدى وسيلة للمواصلات .

ووقف قبالتها ينتظر حتى قامت .





وتناهى اليه صوت عم عبده وهو يؤذن فقال اننى وحيد . وانه يحسن به ان يدعوا أحد أو ينضم الى احد ولوح بذراعه لليل وقال ان السر قد تبخر من رأسه فهو مفق . وضحك من غرابة الفكرة . لكنه مفق وها هو ليل الفجر بلا صوت يتحدث وليس للحوت من أثر واين بقية الغبارة هل داستها سيارة والحاكم بأمر الله كان يقتل بلا حساب ، ولما بأنه اله حرم على الناس الملوخية لماذا اذعنت للخروج معهم ؟ هكذا توجهت قاتلا القتل والسرعة الجنونية والهرب والمناقشة المديبة واخذ الاصوات فى الديمقراطية دامية وبعثت الزوجة والبنت ثم ماتتا من جديد ولن ينام الليلة الا الميتون والصرخة التى هزئت من كمال الأفلاك مجهول من مجهول الى مجهول متى يرحم العقل نفسه ويستسلم للنوم وصعد الحاكم بأمر الله الى قمة الجبل ليمارس أسرارهِ العلوية ولم يعد حتى اليوم لم يعد ولم يعثر له على اثر وحتى الساعة لم يتوقف البحث عنه لذلك اقول انه حى وقد رآه رجل اعمى ولكن لم يصدقه احد وغير بعيد ان يتجلى للمساطيل فى ليلة القدر اما الانسان المجهول فقد قتل كما قتل النوم وتريث بصره الحائر عند الفريجيدير فوق اعلى بابها فأكشف لأول مرة وجه الشبه بين منحنى الباب وجبين على السيد وايضا فهو له عينان تغورقان فى الضحك وقالوا ان الحاكم بأمر الله قد قتل كلا فمن كان مثله لا يقتل ولكنه شاء ينتحر ، وقد القى نظرة من فوق الجبل على القاهرة ثم امر الجبل ان يدكها ولما لم يصدع الجبل بأمره أدرك أن جهاده عبث فانتحر ، لذلك اقول انه حى وغير بعيد ان يتجلى للمساطيل فى ليلة القدر . . .

وترامى اليه من الحديقة صوت عم عبده لدى رجوعه وهو يبسم فناداه فجاء الرجل من توه وهو يقول :

— لم تنم بعد ؟

فسأله بلهفة :

— هل اخذت بقية الغبارة ؟

— كلا .

— فتشت عنها في كل مكان ولا أدري أين ذهبت . .

— لماذا لم تنم ؟

— فرغ رأسي في الرحلة المشؤمة .

— يجب أن تنام فالصباح يقترب .

وعندما تحرك العجوز للذهاب سأله :

— ياعم عبده الم تقتل احدا في حياتك ؟

— أووه !

فتأوه قائلاً في حلق :

— اذهب . .

ومضى يذهب ويجيء حتى تعب ، وانتقل الى الشرفة فاستلقى فوق شلته ولكن حدة اليقظة أياسته من النوم وخلو العوامة من الكيف ضاعف من قلقه ووساوسه . وقال انه يجب أن يتحلى بصبر النجوم . وانطفأت مصابيح الطريق فاستقلت الطبيعة بألوانها وتسلل ضياء الغسق فصبغ الافق بلون بنفسجي ضارب للقرنفل ثم انحسر الغيش عن مولد أشجار الأكاسيا واللبخ ونهض يائسا ومتحديا أسلم رأسه للصنوبر طويلا ثم تناول زجاجة حليب من الفريجيدير فشربها بلا رغبة وصنع بيديته قهوة فاحتساها وضاق بالمكان فارتدى بدلته وغادر العوامة مبكرا ليتسكع في الطرقات حتى يأزف موعد الدواوين .

استقبل الطريق مفيقا لاول مرة بباطن بعيد كل البعد عن السلطنة والخيال والضحك وامتد الشارع أمامه طويلا تكتنفه الأشجار السامقة من الجانبين تتدالى أعاليها على مرمى البصر كجبين مقطب ولاول مرة يرى العوامات والذهبيات الراسية على امتداد الشاطئ المرصع بحدائقها المتشابهة والمتباينة . العجب أن لكل عوامة شخصيتها ولونها وشبابها أو كهولتها ووجوه آدمية تتراءى في نوافذها واعجب ما رأى نخلة محملة بالبلىح الاصفر وما كان يصدق انه توجد على الشاطئ نخلة واحدة . وثمة عديد من الاشجار مختلفة الاحجام والاشكال والازهار لا يدري عن اسمائها او خواصها شيئا .

ومرت به قافلة من الجمال يقودها رجل فتساءل من اين انت والى أين تذهب ،  
وداخله شعور كاليقين بأنها تزحف فى ضيق مقعم بالتوتر والالم . وقرأ على باب  
عوامه لافتته تعلن عن " دور مفروش للأيجار " . ها هى شقة خالية ، وها هى  
امراة لايأس بشكلها وعمرها تنظر نحوه من الدور الاعلى ولن يستطيع الخيال ان  
يحصى الاحتمالات الممكن ان يصادفها ساكن جديد اعزب ولكن كيف يمكن ان  
ينطوى نهار المفيق ؟ . واعترضه جزع شجرة فاستوقفه لضخامته وغلظة فرفع  
عينيه الى الغصون المنتشرة فى الهواء كقبة هائلة مغروسة الهامة فى سحابات  
الصباح الشفافة الدانية ثم رجع الى الجزع المعمر هابطا الى جزور كالحة متفرعة  
عن اصله وضاربه فى ارض الطوار كأنما تنشب فيه اظافرها فى اندفاعه متوترة  
غاصه بالتحدى والالم . وهاك رقعة من اللحاق الخارجى قد تآكلت كاشفة عن طبقة  
من اللحاء الداخلى ذات لون أصفر باهت على هيئة بوابة قوطية استوت امامه بطول  
قامته داعية اياه الى الدخول وقال ان طول عمر الشجرة - وحده - يكفى لاقتناع  
من لا يريد ان يطلع بأن النبات كائن لاعقل له ومضى وهو يمعن النظر فيما حوله  
ومتسائلا فى غرابه ترى الوان الوجود احمر او انه اصفر ، وهل لحاء الشجر كجلد  
ميت ، ولكن متى رأيت جلد ميت ! . وثبت له ان شيئا ما فى الطريق يعترضه  
متحديا معاندا مثيرا للالم وتذكر بغتة انه لم يحلق ذقنه . وانه لم ينس ذلك قط وهو  
مسطول ، وأن ذلك سيزيد من تعقيد الأمور وسأله صوت عن الساعة فلم يعن  
بأجابته ولم يلتفت نحوه ، وسار متثاقلا حتى لوح له بائع الجرائد بصحف الصباح  
فمضى عنه فى غير مبالاة .

انه لم يقرأ جريدة منذ دهر طويل ، ولا يعرف من الأحداث الا ما تلوكة السنة  
المساطيل فى هذيانها الأبدى من الوزراء وما السياسة وكيف تسير الأمور ؟ أنظر  
ياسيدى مادمت تسير فى طريق شبه خال دون أن يهاجمك قاطع طريق مادام عم  
عبده يجيئك بالغبارة كل مساء ، مادام الحليب متوافرا فى الفريجيدير ، فالأمور  
تسير حتما سيرا حسنا ، أما آلام الأفاقه ، وحوادث السيارات واحاديث الليل  
المغلقة ، فلم يعرف بعد على من تقع مسئولية حلها .

وذهب الى الادارة مبكرا وما كاد يستقر على كرسيه الخشبي حتى اجتاحتها رغبة  
لا تقاوم فى النوم فطرح رأسه على المكتب فغاب فى سبات عميق ودعاه زملاؤه الى  
مناقشة عن لائحة العقوبات فقال لهم ان خير تصلح به الحكومة هى لائحة الوصايا  
الحشر وبخاصة بند السرقة وبند الزنى وغادر الحجرة الى القرية فأحاط به غلمان



الصبا ورموه بالتراب فانقض عليهم رافعا يده بحجر ولكن عديك قبضت عليها وقالت له انا زوجتك فلا تضربني فسألها عن البنت فقالت انها سبقت الى جنة الخلد وانها تدور على الخالدين بالماء العذب وفرح جدا وقال لها ان عمرا طويلا انقض وهو يحاول عبثا ان يتذكر ذلك وان طريق الجنة محفوف بأشجار الجازورينا ويتعذر السير فيه ليلا ولكن السيارة تقطعه في ثوان مرهقة بالرعب ويصرخ الانسان ولكن صوته ينجس في حنجرته ولا يسمعه احد فطارت في الهواء ثم سقطت فوق غضن شجرة فقال بعجب اذن هو انت فقالت كيف لم تعرف فقال انه الليل يقطر سوادا ولا يرى فيه شئ ويتكلم كثيرا بلا جدوى فقالت خبرني عما تريد فقال أريد ما فتشت عنه في كل مكان ولكن هاهو قادم على هيئة سحابة راجنة وعما قليل ستمطر السماء مطرة واحدة ولكنها تكفى لبل ريق المنصهر المعذب ثم مد نحوها ذراعه ولكنه لمح عم عبده قادما من أقصى الطريق راكضا وهو يملأ الفضاء فركبه خوف بلا سبب فودعها بسرعة وانطلق يعدو بكل قوته لا يتوقف ولا يلتفت غير انه شعر طيلة الوقت بالعجز وهو يوشك ان يطبق عليه وبلغ العوامة فاندفع فوق الصقالة ثم اغلق الباب وراءها ووجد لدهشته المجلس متكملا والاخوان يتضحكون كعادتهم فعانقهم وهو لا يصدق وقال لهم لقد حلمت حلما مزعجا فسأله رجب عما رأى فقال رأيت مجلسنا في سيارتك وانت تدفعنا بجنون فصدمننا رجلا فطار في الهواء فضحكوا طويلا وقال له مصطفى أحكم اللحاف حولك عند النوم فتأوه قائلا أسطلوني فقدمت له سمارة الجوزة وهي تقوم على خدمتها ف جذب منها نفسا طويلا عميقا حتى دار رأسه وجعل يضحك منها ويقول الم نقل لك فنحت الجوزة جانبا وقامت فتمنطقت بالاشارب وراجت ترقص رقصة بلدية فدعاهم الى التصفيق ولكنه لم يجد منهم أحدا أجل لم يكن في العوامة من أحد سواهما فراح يصفق لها وحده ثم ضمها بين ذراعيه وهو يقول لقد فتشت عنك في كل مكان وسألت عنك عم عبده وعند ذاك تهاوت الضربات فوق الباب وارتفع صوت عم عبده وهو يصيح افتح افتح فجرها من يدها الى الفريجيدير واندسا فيها ثم اغلق الباب واشتدت الضربات حتى زلزل المكان واستمر الزلزال حتى فتح عينيه فرأى زميله وهو يهزه قائلا :

— صح النوم !

دعك عينيه فقال الآخر :

— اذهب الى المدير العام فانه يريدك

ونظر في الساعة فاذا بها تدور في العاشرة . قام مترنحا ثقيلا القلب فمضى الى

المرفق فغسل وجهه ثم ذهب الى مكتب المدير العام ومثل بين يديه حدجه الرجل  
بنظره باردة وقال :

— احلام سعيدة !

قلم ينبس من الألم والقرف فقال الرجل :

— رأيك بعيتى فى سابع نومة وأنا مار أمام الادارة

— انا مريض

— كان يجب ان تطلب اجازة

— لم اشعر بالمرض الا بعد حضورى .

— الحقيقة انك مريض قديم ولا شفاء لك

وجرفه غضب مفاجىء فهتف بخشونة

— لا . .

— أنت تخاطبني بهذه اللهجة !

— قلت انى مريض فلا تهزا منى

— لقد جننت ما فى ذلك من شك

فصرخ بصوت كالرعد :

— لا . .

— يامجنون ها هي عاقبة الادمان !

— احفظ لسانك احسن لك !

انتتر الرجل واقفا ممتقع الوجه وصاح به :

— ياوقح يا مجرم يا مدمن . .

انقض بلا وعى على النشافة ورماه بها فأصابته صدره فوق رباط الرقبة . ضغط

الرجل على زر الجرس وهو يرتعد فصاح انيس :

— ان نطقت بكلمة اخرى قتلتك !

احاط به صمت ثقيل فى مكتبه ولكنه لم ير احدا جلس هامسا منفصلا تمام عما

حوله حتى الألم يعد يشعر به وقبيل الانصراف اقترب منه زميله وهمس فى اشفاق :

— يؤسفنى ان اخبرك بأن امرأ قد صدر بوقفك عن العمل واحالتك الى النيابة

الادارية .



استسلم للمقادير . وقال ان شر البلية ما يضحك . وهو يتناول غداءه أخبره عم عبده بأنه لم يجد شيئاً عند التاجر ويأنهم أخطأوا في اغفال نصيحته والعمل ؟ سيجرب حظه عند تاجر آخر ولكنه غير متأكد من نتيجة مسعاه . ها هي المصائب تتجمع كسحب الشتاء واستلقى على فراشه وراح يطالع فصولاً عن عصر الشهداء قرأ طويلاً ولكن النوم لم يأت سقط شهيد في اثر شهيد ولكن النوم لم يأت وكره الرقاد فقام يتسلى باعداد المجلس عندما تتكاثر المصائب يمحو بعضها بعضها وتحل بك سعادة جنونية غريبة المذاق . وتستطيع أن تضحك من قلب لم يعد يعرف الخوف ولنا فوق ذلك نزهة لطيفة في النيابة الادارية ما اسمك بالكامل : أنيس زكى ابن ادم وجواء ، وسنك : ولدت بعد مولد الارض بألف مليون سنة . وظيفتك : برومتيوس مسطولا ، مرتبك : ماقيمته خمسة وعشرون كيلو من اللحم البلدى . والتاجر على اى حال يجب أن يوجد ودخل الشرفة ف جذب سمعه صوت عم عبده وهو يؤم المصلين لصلاة العصر تقدم كالطود واصطفوا خلفه كالأقزام ما بين خفير عوامة وقروى وخادم . ومخرت النيل قافلة من المراكب الشراعية محملة بالأحجار وتتابع الامواج سمراء ضاربة للاخضرار في هدوء رتيب كأن الطمأنينة تحكم الكون . واستوت على الشاطئ أشجار الأكاسيا كالبركان مستقلة بكون اخر . وجاء عم عبده عقب الصلاة ولكنه وجد المجلس جاهزا . ورجع أنيس الى

الصلاة وهو يقول له مداعبا :

— تطاردنى يا عجوز !

— هه ؟

— رأيتك فى المنام تطاردنى .



— خيرا ان شاء الله

— ماذا تصنع لو طردتك من العوامة ؟

وهو يضحك :

— جميع الناس يحبون عم عبده

— اتحب الدنيا يا عجوز ؟

— أحب كل ما خلق الرحمن

— ولكنها كريهة احيانا . اليس كذلك ؟

— الدنيا حلوة ربنا يطول عمرك

— اياك وان ترجع خالى اليدين

— ربنا موجود

وتلقت العوامة الهزة المألوفة فنظر انيس نحو الباب ليرى القادم المبكر وما كاد عم عبده يختفى حتى ظهرت سمارة متجمة ، شاحبة الوجه تعكس عينها توجسا وقلقا وقد ركذ ماء الشباب في وجهها ، صافحته في آلية ثم جلسا متباعدين وانتبهت الى المجلس المعد بغرابة وتمتمت :

— أيمكن ان تمضى الحياة كما كانت ؟

— لا شيء يكون كما كان .

قالت وهى تنفض عينيها :

— لم انم أمس دقيقة واحدة

— ولا انا . .

فتأوهت قائلة :

مات في جانب لا يعوض

— الحق ان الموت يطاردنا بشدة منذ أمس

مدب له يدها بالجريدة المسائية وهى تقول :

— جثة رجل في الخمسين ، شبه عار ، كسر في الفقار والساقين وعظام الرأس .

دهمته سيارة وهرب الجناة ، لم تعرف هويته كما لم يعرف له اهل

قرأ الخبر ثم رمى بالجريدة قائلا

— عدنا الى الجحيم

— لم نخرج من الجحيم

نحن لم نخرج من الجحيم

- نحن فى الواقع قتلة
- فضلا عن ذلك فانى دفعت الى باب التشرذ
- وقص عليها قصة المدير العام وتبادلا نظرات ميته وهى تعرب عن اسفها ثم سألته :
- ألك مورد غير الوظيفة
- فضحك ضحكة أغنت عن الجواب ، وقال :
- انهم يدفعون اجرة العوامة وكافة تكاليف السهرة
- الرفت عقوبة نادرة الحدوث
- سيقول لكل كائن انن دمن منحل !
- ياللبلاء لقد تراكمت المصائب
- وانطوى كل فى قوقعته
- واذا بالعوامة تخفق فى هزات متتابعة ثم جاء الصحاب جميعا بوجوه غريبة وقال
- انيس لنفسه انهم يتوقعون متاعب من ناحية سمارة . وسأله رجب — وهو يشير
- الجوزة لماذا لا يعمل فأجابه بأنه لا يوجد شىء وقال لنفسه انه يتظاهر بالاستهانة
- ولكن دون جدوى وتبين. أنهم اطلعوا على الخبر فى الجريدة . أجل ومالبثوا ان
- علموا بمأساته مع المدير العام وتأوه على السيد قائلا " ياللمصائب " وقال احمد
- نصر باهتمام :
- يجب ان نتخلص من الجوزة وادواتها فى الحال
- وحدجوه باستنكار فاستطرد :
- لا استبعد ان يعمل المدير العام على الايقاع بالعوامة !
- وفى تصميم قام من فوره وراح يرمى بالجوزة والكراسى والمعسل وسائر الأدوات
- المساعدة الى النيل ثم ارتمى على الشلثة وهو يقول :
- اعتبروا العوامة منطقة خطر حتى ينجلي الموقف
- وتبادلوا نظرات كئيبة عارية من التصنع حتى تمتم أنيس
- الجنة ولت !
- ولما لم ينبس احد رجع يقول :
- كانت خرجة مشئومة ، لماذا فكرتم فى الخروج ؟
- فقال رجب بصوت حاد :
- علينا ان ننسى الماضى .
- اجل لننس ولكن وجوهكم لا تريد ان تنسى . ونفخت سمارة قائلا :

— كيف ننسى ووراءنا قتيل !

فقال بصوت اجش :

— لذلك يجب ان ننسى

— ولكنه فوق المستطاع

رماها بنظرة طويلة . لا يدري احد بما يدور في رأسه ولا يدري احد عن محنة

الحب شيئاً ترى أتسوء الأمور أكثر مما ساءت ؟

وقلب رجب عينيه في الوجوه ثم قال :

— خمنت ما سيحدث هنا من قبل ان احضر ونحن الآن على بعد من الحادث يتيح لنا

التفكير في هدوء فعلينا ان نتكاشف

فقال على السيد في ضجر :

— الم نعتبر كل شيء منتهياً ؟

— يبدو أن لسمارة رأياً آخر .

ف قالت سنية بقلق

— لاتعودوا الى ذلك الحديث انى منهارة تماماً

وقالت ليلي :

— قضيت ليلة جهنمية وامامنا عذاب طويل ، حسبنا ذلك !

— لكن يبدو — كما قلت — ان لسمارة رأياً اخر . .

التفت على السيد نحو سمارة وقال بنبرة رزينة حزينة :

— سمارة ، خبريني عما ترين ، جميعنا محزونون معذبون ، لم يذق أحدنا النوم ،

ليس بيننا من يحب القتل ، أو حتى يتصوره ، ونحن نشاركك عواطفك وقد حز في

نفوسنا الخبر رجل مسكين لعله من مهاجري الريف مجهول بلا اهل ولا سبيل

أمامنا لاصلاح الخطأ ، هل من سبيل ؟ اذا ظهر له اهل فسنجد وسيلة

لتعويضهم ، ولكن ما العمل الآن ؟

لم تنبس ولم ترفع اليه عينا ، فواصل حديثه :

— لعلك تقولين لنفسك ان الواجب واضح من الناحية النظرية هذا حق ، كان يجب

ان نتوقف لا ان نهرب وعندما نتأكد من موته نمضي من فورنا الى النقطة وندلى

بأعترافنا ، ثم نقدم للمحاكمة لينال كل جزاءه ، أليس كذلك ؟

فقال رجب :

— جزائي السجن بلا ريب !



– والفضيحة المزرية للجميع بما فيهم انت !

فقال مصطفى :

– ولن يبعث الرجل بعد ذلك حيا ، ولن يفيد من توضحياتنا وعاد على السيد يقول :  
– انى اعرفك خيرا من الاخرين ، فتاة مثالية بكل معنى الكلمة ، ولكن لابد من شيء  
من المرونة لكى نواجه اعباء الحياة . ليس الحادث المؤسف بقضية وطن ولا مبدأ ،  
المسألة بكل بساطة . . مجهول قتل خطأ ، وهناك مسئولية لا انكر ، حماقة  
مألوفة وياللاسف ، ولكن هل نهون عليك جميعا ، هل تريدان حقا التوضيح  
بساعدتنا وكرامتنا ، بل دعينى اقول بسعادتك وكرامتك انت ايضا ، فى سبيل  
لاشئ ؟ !

تمتت وهى تتنهد :

– لن اصلح بعد ذلك لشيء !

– وهم لا اساس له ، الاف يقتلون كل يوم بلا سبب ، والدنيا بعد ذلك بخير ،  
وستجدان دائما فرصة للعمل ، فلن يقعد بك تسامحك الواجب نحونا عن نشاطك  
الصحفى الذكى ولا عن همتك المعروفة فى الوحدة الاساسية ، ولا ولا ولا ، بل لعله  
سيدفعك الى مضاعفة الجهد . .

– كما يدفع أحيانا الشعور بالاثم ؟

– انه ليس باثمك على اى حال وهو خليك بأن يحملنا على اعادة التفكير فى كل شيء ،  
اما رجب فقد تطور بالفعل بفضلك على الاقل فيما يتعلق بنظراته نحو المرأة فكرى  
بذلك كله بقلب سمح . .

فقالت فى قهر شديد :

– انى صائرة الى موت محقق !

فقال خالد عزوز :

– كلنا صائرون الى الموت . .

– انما اعنى موتا أفِطع

– ليس ثمة ما هو افطع من الموت

– ثمة موت يدركك وانت حى

– لالا ، لا يجوز ان يضحى بنا بدافع من تركيب لفظى :

واذا برجب يصيح بانفعال غاضب شديد :

– ألا يهكم أن تنشر الصحف أنك كنت بصحبة رجال سيئى السمعة فى النصف

الأخير من الليل وهم يعبثون ويقتلون ؟

وهاجتها حدته فهتفت بحدة :

— لا يهمنى !

فتمادى في الغضب صائحا :

— انك تمثلين دور الشجاعة مطمئنة الى معارضتنا الاجتماعية . .

— كذب !

— اذن هلمى الى النقطة . .

فصاح مصطفى راشد حائقا :

— ان ما نبنيه في دهر تهدمه أنت بحماقتك في ثانية واحدة ؟

وقامت اليه سنية فلمست يده ملاطفة وقبلت جبينه حتى عدل عن المناقشة ، ثم

وقفت . أمام سمارة وسألتها برقة :

— أتعنين حقا أن تضحي بنفسك وبنا ؟

فأجابت بإصرار وهي لم تزل تحت وطأة الغضب :

— نعم !

— ليكن ، افعل بنا ما تشائين .

وقبل أن تنطق سمارة بكلمة دخل عم عبده فخرست الألسنة ، أعطى أنيس

لفافة صغيرة وهو يقول :

— وجدتها بطلوع الروح . .

فقال أحمد نصر لأنيس :

— تخلص منها في الحال

— لا . .

— لقد قلت ما فيه الكفاية .

— ليس أسهل من رميها في الماء عند الضرورة .

وتساءل عم عبده :

— ماذا جرى ؟

فأعادها أنيس اليه ليعد فنجال قهوة فمضى بها الرجل . وقد غير مجيئه الجو .

بعض الشيء . وشاد الصمت حتى قال مصطفى راشد متأسفا :

— عين أصابتنا . .

فقال خالد عزوز :

— فلنلف سجائر لعل وعسى . .

وتهلل وجه على السيد بتفاؤل مبالغت فقال برجاء :

— اراهن على ان رجب سينجب اطفالا

واذا بأنيس يضحك رغم توتر اعصابه وقال :

— عملتم من الحبة قبة

ولما لم يعره احد انتباها قال

— سمارة فتاة ذات مبادئ ولكنها ايضا امرأة ذات قلب . .

فنظروا اليه محذرين في استياء واضح ولكنه مضى يقول :

— نحن مدينون للخب . .

واكثر من صوت رجاء ان يسكت ولكنه أكمل قائلاً :

— فهو الذى انقذنا من حكم المبادئ

تأففت سمارة فى عصبية ثم أجهشت فى بكاء عنيف كأنه اعصار اجتاح اعصابها

واقترب على السيد منها متأثرا محاولا تهدئتها اما رجب فقد انقض على انيس

صارخا :

— أنت ! . . أنت !

واهوى بقوة على وجهه بكفه !





- قبض احمد نصر على ذراعه فجذبه الى الوراء بشدة وهو يقول بصوت متهدج :
- أنت مجنون ! . . أى مصيبة وأى جنون . . .
- وكفت سمارة عن البكاء فاغرة فاها . وحل صمت كالموت . وتلقى أنيس الصفعة دون أن يتحرك . ونظر الى رجب طويلا دون أن ينبس . وأراد مصطفى أن يقترب ليواسيه ولكنه مد ذراعه الى الأمام ليصده وهو يقول :
- عن اذنك . . .
- خطأ مفجع بلا أدنى شك ولكن المذنب صديق أبيض القلب أعماه الغضب .
- فصرخ بصوت كالرعد :
- لا . . .
- وجاء عم عبده كأنما يلبي نداءه وهو يقول :
- القهوة فوق النار .
- فلوح بيده أن يذهب فذهب . وقام واقفا وراح يتمشى بعرض الصالة ذهابا وإيابا . وجعل يكلم نفسه بصوت لا يسمعه أحد .
- وفجأة وثب على رجب وأطبق يديه على عنقه . وبسرعة ضربه رجب على ذراعيه ليخلص رقبتة فنطحه أنيس فى أنفه ثم انهالا على بعضهما ضربا ولكما وركلا . واندفع الآخرون للحيلولة بينهما ولكن أنيس ترنح وتهاوى ساقطا على الأرض . وظهر عم عبده عند الباب فوقف ينظر ذاهلا ثم تمتم :
- لا .. لا ..
- فأمره أحمد نصر بالذهاب ولكنه مضى يردد : — لا .. لا ..
- ثم تراجع تحت ضغطا النظرات وهويhez رأسه أسفا ، وتعاون مصطفى راشد

وعلى السيد على مساعدة أنيس للجلوس على القوتيل وأحاط الآخرون برجب الذى  
راح يمسح الدم الفازف من أنفه ، بسط أنيس يديه على ذراعى الكرسي ومال برأسه  
الى مسنده ثم أغمض عينييه نصف إغماضة . وقامت ليلى وسنية بأسعاف أولى  
فجاءتا بماء وقطن ومسحتا الدم عن شفته السفلى وحاجبيه ثم بللتا وجهه وعنقه .  
أما سمارة فقد تقلص وجهها ألما وغمغمت بكلمات لم يسمعها أحد . وضرب أحمد  
نصر كفا على كف وهو يقول :

— لم أكن أتصور . .

فتمتم على السيد :

— يا للخراب ! . .

— لقد ركبنا الشيطان فلم يعد لنا من وجود .

واغرورقت عينا سنية بالدموع وقالت :

— من يصدق أن يحدث ذلك فى عوامتنا !

فعادت سمارة الى البكاء ولكن دون أن يند عنها صوت . وفتح أنيس عينييه ، لم

ينظر الى أحد . ومال على السيد عليه وهو يسأل :

— كيف حالك ؟

لكنه لم يجب فقال صاحبه :

— سادعو طيبيا بعد اذنك . .

عند ذلك قال أنيس :

— لا داعى لذلك .

— الحزن قتلنا صدقنى ، حتى رجب نفسه . وهو يود مصالحتك .

فقال بهدوء غريب :

— كل شيء يهون الا . .

وازدرد ريقه ثم استطرده :

— لا جريمة القتل . .

لم يبد على أحد أنه فهم شيئا . واعتدل هو فى جلسته . وقال على السيد :

سأنت الآن أحسن ؟

فقال بالهدوء نفسه :

— كل شيء يهون الا جريمة القتل .

— ماذا تعنى ؟

- أعنى أن العدالة يجب أن تتحقق . .
- رجب على استعداد . .
- فقاطعه :
- انما أعنى قتل الرجل المجهول . .
- تبادلوا نظرات غريبة ثم هز على السيد منكبيه قائلاً :
- الأهم أن تعود الى حالتك الطبيعية . .
- عدت اليها تماما فشكرا ، انى أتكلم عما يجب عمله بعد ذلك . .
- ولكننى لا أفهم ماتعنية ياعزيزى ؟ !
- ليس كلامى غامضا بحال ، انى أعنى القتل المجهول ، وأقول ان العدالة يجب أن تتحقق !
- ابتسم على السيد ابتسامة حائرة بلهاء ثم قال :
- ها أنت ترانا فى غاية من التعاسة ولم يبق الا ان ننفجر هالكين . .
- يجب أن تأخذ العدالة مجراها . .
- الكلام يتعبك ولا شك .
- يجب الإبلاغ عن الجريمة فوراً . .
- انك لا تعنى ما تقول .
- بل أعنيه بكل دقة ووعى .
- شئ لا يصدق . .
- صدقه فهو حقيقى مؤكد .
- ولكن القضية لم تهلك قط !
- لا يهمنى الآن سواها . .
- وجاء أحمد بكأس ويسكى ولكنه رفضه شاكرا فأراد أن يلف له سيجارة الى أن تنضج القهوة ولكنه قال بأنه سيؤجل ذلك . . . وقال له ليلى برجاء :
- بالله لا تزدنا تعاسة !
- انه قضاء لا راد له . .
- لقد انتهينا من ذلك وسمارة نفسها قد رحمتنا . .
- قلت ما فيه الكفاية . .
- وقال خالد بعصبية :



- يا جماعة علينا أن نذهب ، لقد مسنا الجنون ولن يزيد اجتماعنا الا استفحالا .
- ولكنى ساذهب الى النقطة بنفسى فليكن ذلك فى علمكم . .
- تركزت عليه الانتظار بذهول . وحول رجب وجهه الى النيل ليتفخ غضبه فى الهواء . وقال احمد نصر :
- لست فى كامل وعيك .
- بل فى كامل وعيى .
- اتدرى ماهى العواقب ؟
- أن ينال كل جزاءه .
- فصاح رجب بأعلى صوته :
- انه يائس مرفوت ولا يهمه فى شىء أن يندك المعبد على من فيه !
- فصاح به على السيد :
- اسكت أنت . انك المسئول الأول عن كل شىء فلا تنطق بكلمة .
- ثم التفت الى أنيس قائلا بحرارة .
- أتصورت حقا أن نتخلى عنك فى محنتك ؟ ، ليس من المحتوم أن ترفت ، واذا رفت فنحن وراءك ومعك حتى تجد عملا آخر . .
- شكرا .. ولكن لا علاقة بين هذا وذاك ..
- بالله كن معقولا ، لا سبب فى الدنيا كلها يبرر موقفك ، حتى سمارة اقتنعت برأينا ، انى لا أفهمك !
- فصاح رجب :
- ألا تفهم حقا ؟
- أسكت أنت .
- الم تفهم أنه مصمم على الانتقام منى ؟
- اسكت انت .
- لقد جن ولا فائدة من مناقشة مجنون .
- قلنا لك أسكت .
- فلتندك السماوات على الأرض قبل أن أسمح لمدمن مجنون بأن يدمر مستقبلى .
- وأرادت سمارة أن تقول شيئا ما ولكن رجب لوح نحوها بقبضته غاضبا وصاح :
- ماذا تريدن يارأس البلوى ؟
- فانكمشت فى دعر ، أما رجب فانقلب مجنونا ووثب الافتراس من سحنته ثم

صرخ :

— اذا لم يكن من تهمة القتل بد فلتكن جريمة قتل حقيقية .

تكتل الرجال حوله في تصميم وجعل أحمد يقول يائسا :

— كارثة . . ستقع كارثة فتقتلعنا جميعا . .

وظهر عم عبده مرة أخرى وهو يقول :

— وحدوا الله !

فصاح به أحمد نصر :

— غر . . اذهب بعيدا واياك أن تعود !

ولما ذهب العجوز قال لأنيس :

— أنيس ، ها أنت ترى ، باسم صداقتنا أعلن أنك لا تعنى ماتقول .

فقال أنيس باصرار :

— لن أراجع أبدا .

— دينك ودين أهلك !

والتفت نحو سمارة داعيا اياها بنظرة جزعة وجلة الى التدخل . وتركزت الأنظار عليها واضحة في حثها على الكلام وفي تحميلها مسئولية ما وقع . وركبها القهر والحرص . ونظرت نحو أنيس ، وازدردت ريقها ، ثم همت بالكلام ولكنه سبقها قائلاً :

— لا تراجع . أقسم لكم على ذلك !

وهجم رجب محاولاً فك الحصار المضروب حوله ليثب عليه ولكنهم شددوا في حصاره وقبضوا على ذراعيه ووسطه . وبذل كل قوته للتخلص من أيديهم دون جدوى . وعند ذلك قام أنيس ثم سار نحو باب المرافق فأختفى دقيقة ثم رجع قابضاً على سكين المطبخ ووقف بين الباب والفريجيدير متوثباً للدفاع عن نفسه حتى الموت . وصرخت النساء . وهددت سنيه باستدعاء البوليس عند أول بادرة شر . وضاعفت السكين من ثورة رجب فأنهال على أنيس سباً وقذفاً ، وكرر المحاولة للوثوب عليه حتى صاح خالد عزوز :

— يجب أن نذهب في الحال .

فصرخ رجب :

— ساقضى عليه قبل أن يقضى على .

ولكنهم دفعوه نحو الباب الخارجى رغم مقاومته . وعنفت حركاته للتخلص

منهم فعنف كذلك اصرارهم حتى انقلب ما بينهم الى ما يشبه المعركة . وهددهم اذا لم يتركوه بالضرب فهددوه بدورهم بالضرب .

وتابع أنيس المنظر بغرابة ، انهم يتصارعون ، الوحش يريد أن يقتل . استماتوا في الدفاع فلم يغلِبهم .

وكف فجأة عن الهجوم . هاهو يقف جامدا وهو يلهث ثم ينفث غضبا . وبرقت في عينيه نظرة جنونية ، وصرخ :

— انكم تتوهمون أنني وحدى المسئول !

— لندع الكلام حتى نغادر العوامة .

لقد هربتم معى !

— فلنتكلم في الخارج بهدوء .

— كلا يا أوغاد ، انى ذاهب ، سأذهب الى النقطة بنفسي ، انى أتحدى الخراب والموت والشياطين . .

واندفع الى الخارج وهم في أعقابهم . وتبعتهم في الحال سنية وليلى . وارتجت العوامة ومادمت تحت وقع الأقدام الثقيلة الغاضبة .

وضع السكين فوق الخوان ومضى الى أقرب شلثة ثم جلس غير بعيد من سمارة .

نظر كلاهما الى الليل خارج الشرفة مستسلما للصمت والوحدة . لم يتبادلا نظرة ولا كلمة ولكنه قال لنفسه أن الدنيا قد زلزلت وأنها على وشك الانفجار . وشعر بأقدام

تقترب ، مألوفة اللغة ، فلم يلتفت حتى وقف العجوز وراء ظهره وقال :

— ذهبوا . .

فلم يجبه فعاد الآخر يقول :

— لعب الشيطان بكم حتى شبع .

فلم يخرج من صمته فقال العجوز :

— جئتك بالقهوة .

فتحسس فكيه وقال :

— اتركها أمامى .

— خذها في الحال من يد مباركة لتسكن الألم .

وقرب الفنجال من فيه باصرار حتى احتساه فقال العجوز :

— لتكن هذه المرة للشفاء .

ثم تحول عن موقفه ماضيا نحو الباب ولكنه توقف عند البارقان وقال :



— اعتزمت أن أفك سلاسل العوامة لو كان عاد إلى ضريك !  
فقال أنيس بدهشة :

— لكننى كنت سأغرق مع الآخرين ؟  
فقال وهو يمضى :

— على أى حال ربنا ستر !  
وضحك أنيس ضحكة خافتة ، وسألها :  
— أسمعت ما قال العجوز ؟  
فسألته بدورها :

— ألا ترى أنه يجب استدعاء طبيب ؟  
— كلا ، لا حاجة إلى ذلك .

وأشعرته اثارة الموضوع بالألم من جديد ولكنه كان طفيفا وكانت القهوة قد  
استقرت في معدته .

وسألته مرة أخرى :

— أذهب حقا إلى النقطة ؟

— لا أدري شيئا عما يقع في الخارج .  
فترددت قليلا ثم سأله :

— ما الذى جعلك . . .

وقطعت عبارتها فأدرك معناها ولكنه لم يجب فسألته :  
— الغضب ؟

— ربما .

ثم وهو يبتسم :

— وأردت أيضا أن أجرب قول ما يجب قوله !  
تفكرت قليلا ثم سأله :

— لماذا ؟

— لا أدري بالضبط ، ربما لأمتحن كيف يكون أثره .  
— وكيف وجدته ؟

— كما رأيت .

— ألا تنوى أن تبلغ بنفسك إذا لم يفعل ؟  
— انك لا تريد ذلك !

فتنهت قائلة :

— كان الموقف فوق طاقتى فانهزمت .

— ولكن التجربة أثبتت أنه ممكن ؟

— ولكن يبدو أنك لن تسير فيها الى النهاية .

— لا سبب لذلك عندى مثلك . .

— ها أنت تعود الى قتلى !

فصمت مليا ثم قال :

— إنك تحببته ، أليس كذلك ؟

فلاذت بالصمت متجاهلة ترقبه ، فقال :

— أوجدته مختلفا عن الرجل الممتاز الذى رفضته من قبل ؟

فقالت بنبرة متشكية :

— روح القتال لم تفارقك بعد .

— ليس ثمة ما يخجل فى ذلك فهو رجل ممتاز أيضا .

— ولكنه بلا أخلاق !

— لم يعد للأخلاق وجود ، حتى أحمد نصر ؟

— أود أن أقول أنك متشائم ولكن لا حق لى فى ذلك .

— على أى حال ستحميهم لا أخلاقياتهم من ارتكاب حماقة اخلاقية ، وسوف يعود

اليك الحب !

— عذبنى كيف شئت فانى أستحقه وأكثر .

فضحك ضحكة أشعرته بالأم فكيه وقال :

—وها أنا أعترف لك بأن الغيرة كانت باعثا من بواعث سلوكى الغريب !

فحدجته بنظرة داهشة فابتسم قائلا :

— لا يصح أن أخدعك ، فقد تتوهمين أن اخدى شخصيات مسرحيتك قد تطورت الى

النقيض بتأثير كلامك أو بدافع من حدة التجربة ، فأوقعك فى نهاية مفتعلة !

لبثت ترامقه بدهشة ، فقال :

— وثمة نهاية أخرى لا تقل عن السابقة سخفا وهـ . أن تبادلينى الحب !

فغضت عينيها وهى تسأله :

— فكيف ترى النهاية ؟

— هذه هى مشكلتنا لا مشكلة المسرحية وحدها .

- لكنك تكلمت عن قول ما يجب قوله ؟
- ذلك حق ، لم يكن الغضب ولا الغيرة وحدهما ، ولكن خطر لى بعد ذلك أن أقول ما يجب قوله ، أن أقف موقفا جادا لأمتحن أثره ، فوقع زلزال لا ندرى شيئا عن عواقبه ، وحتى أنت انهزمت !
- انك تمثل بجثتى .
- بل انى أحبك .
- تجلت فى عينيها نظرة حزن عميق وقالت :
- أعترف لك بأننى مصرّة على أن أكون جادة أكثر منى جادة بالفعل . .
- هاتى ما عندك بسرعة فان القهوة على وشك !
- فى أويقات الراحة من العمل يعترضنى العبث كأنه وجع الأسنان .
- ذلك بعض أعراضه .
- ولكننى أجاربه بعقلى وإرادتى .
- فقال ساخرا :
- لا يبعد أن تجدى التطور الضرورى فى المسرحية فى تطور البطلة الى الوراء !
- فاحتدت قائلة :
- كلا . . كلا : . انى مصممة .
- سكت اشفاقا فقالت :
- ومع ذلك فانى مقتنعة بأن المسألة ليست مسألة العقل والارادة وحدهما .
- اذن ماذا ؟
- أتعرف لعبة الساقية فى لونابارك ؟
- كلا .
- انها تدور بركايبها من أسفل الى أعلى ومن أعلى الى أسفل . .
- ويعد ؟
- عندما تكون صاعدا فانك تتلقى احساسا صاعدا بطريقة تلقائية ، وعندما تكون هابطا فانك تتلقى احساسا هابطا بطريقة تلقائية كذلك ، وبلا تدخل — فى
- الحالين — من العقل أو الارادة !
- زيدنى شرحا وتذكرى القهوة !
- نحن من الركاب الهابطين . .
- والعمل ؟



– ليس لنا الا العقل والارادة !

– والهزيمة ؟

فقلت بحدة :

– كلا .

– هل تعدين نفسك مثالا للانتصار ؟

– من الركاب الهابطين من جاوز نفسه وحتى من أهلكها .

وراحت تتكلم عن الأمل فنظر الى الليل . ورقرف الليل بجناحيه فتناثرت  
الأسرار كالنجوم . واستحال كلامها وشوشة منبعثة من تهويمات حلم . وشيء حدثه  
بأنه عما قليل سينشق سطح الماء القائم على رأس الحوت .



وقالت له :

– انك لم تعد معي .

فقال محدثا نفسه :

– أصل المتاعب مهارة قرد !

– ما كان ينبغي أن تشرب القهوة .

– تعلم كيف يسير على قدمين فحرر يديه .

– هذا يعنى أنه يجب أن أذهب .

– وهبط من جنة القروء فوق الأشجار الى أرض الغابة .

– سؤال أخير قبل أن أذهب : ألدك خطة للمستقبل اذا تأزمت الأمور ؟

– وقالوا له عد الى الأشجار والا أطبقت عليك الوحوش .

– اتستحق معاشا مناسبا اذا لا سمح الله رقت ؟

– فقبض على غصن شجرة بيد وعلى حجر بيد وتقدم في حذر وهو يمد بصره الى  
طريق لا نهاية .



سكرتير تحرير تنفيذي  
والرسوم الداخلية / محمد عفت

# كتاب اليوم

ثقافة اليوم وسكان اليوم

رئيس مجلس إدارة :

موسى صبرى

رئيس التحرير :

إمين محمد عبد الحى

نائب رئيس التحرير :

عبد العزيز عبد العليم

مدير التحرير :

هسين فريد

العدد ١٤٠١ ذو الحجة

١٩٨١ أكتوبر

تشرين الأول

الصحافة ٧٥٨٨٨٨ عشرة خطوط

تلكس دولي ٩٢٢١٥ - محلي ٩٢٢٨٢

## الإشتراكات

جمهورية مصر العربية :

قيمة الاشتراك السنوى ٣,٥٠٠ جنيه مصرى

## الاشتراكات الجوى :

دول اتحاد كيريش { ٥ جنيه مصرى  
العربى وأفريقى { ٩ دولار أمريكى وما يعادله

بافى ورومانيا (أوروبا) { ١٠ جنيه مصرى  
والامريكى ونيبوتاليا { ١٥ دولار أمريكى وما يعادله

• ويمكن قبول نصف القيمة عند ستة شهور

• ترسل القيمة إلى الاشتراكات ١٣ شل لصحافة

القاهرة ٧٤٨٨٤٤ ( ٥ خطوط

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية ٨١/٤١٩٢

التزقيم الدولى - ٣٩ - ٧٣٢٧ - ٩٧٧ ISBN

عدد خاص من " كتاب اليوم "

يصدر الثلاثاء ١٥ أكتوبر

# رغبات ملتهبة

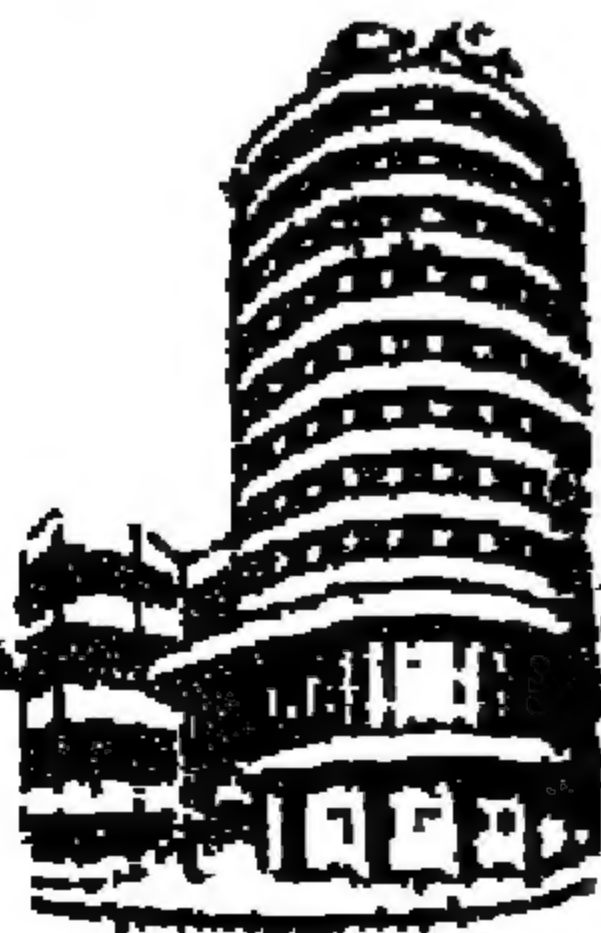


ستظل أسطورة إيزيس أشهر  
قصص الحب في كل العصور . .  
وقد عالجها كبار الأدباء والفنانين  
في مسرحيات وسيمفونيات  
ولوحات وباليه . . وأشعار . .  
وهذه أول معالجة روائية  
معاصرة . . لهذه الاسطورة

الخالدة وقد صاغها الروائي **حسن محسن**

بفنه النابع من تراثنا العظيم وجعل من إيزيس رمزا رائعا  
وعصريا لأحلام وعذابات الأم . . والزوجه . . والعاشقة . .  
والحبيبة

إن الصراع هنا : جحيم من الرغبات الملتهبة . والحب يواجه  
طوفان الغدر . . والغرائز المتوحشة إعصار يهدد البشرية ! . .





أول نوفمبر

العدد الممتاز من « كتاب اليوم »

# أشتات من الناس

بقلم الكاتب الكبير

## محمد زكى عبد القادر

هؤلاء أشتات من الناس ، كل واحد فى قبيل ، وكل قبيل فى جانب من جوانب الحياة ، فهى تجمعها من يمين ويسار ، فيها مايمكن أن ترى فيه شبها بنفسك ، وفيها ماقد تنكره إنكارا وتحسه نشارا ، لا يمكن أن يكون فيه ما تتعاطف معه وتأسى عليه وتندب حظه ، وفيها ما تحس بالاقتراب منه والامتزاج معه ، وهى فى كل الحالات تثير فى نفسك الانفعال والتساؤل .



فيها نظرات تغلب عليها الفلسفة ، ونظرات يغلب عليها الشك ، ونظرات يغلب عليها الايمان ، ونظرات يتقاسمها الايمان والشك ، وإن كانت الى الحيرة أقرب ، ولكنك فى كل الحالات تلمح فيها شيئا يصلها بالحياة فى عموم ، وتصلها بك فى خصوص ، مصوغة أحيانا فى قصص ، ومصوغة أحيانا فى تأمل ونظز مجرد ، وهى نابعة فى كل الحالات من نفس شبيهة بنفسك ، منسوجة فى كيائك .

إن تقبلها بنفسك ، وإن ترفضها فقد رفضت نفسك ، ونحن بين تقبل النفس ورفضها ، نمضى فى أيامنا الى مصير لا يعلمه إلا غلاب الغيوب .






منتجات

جولد ستار العالمية

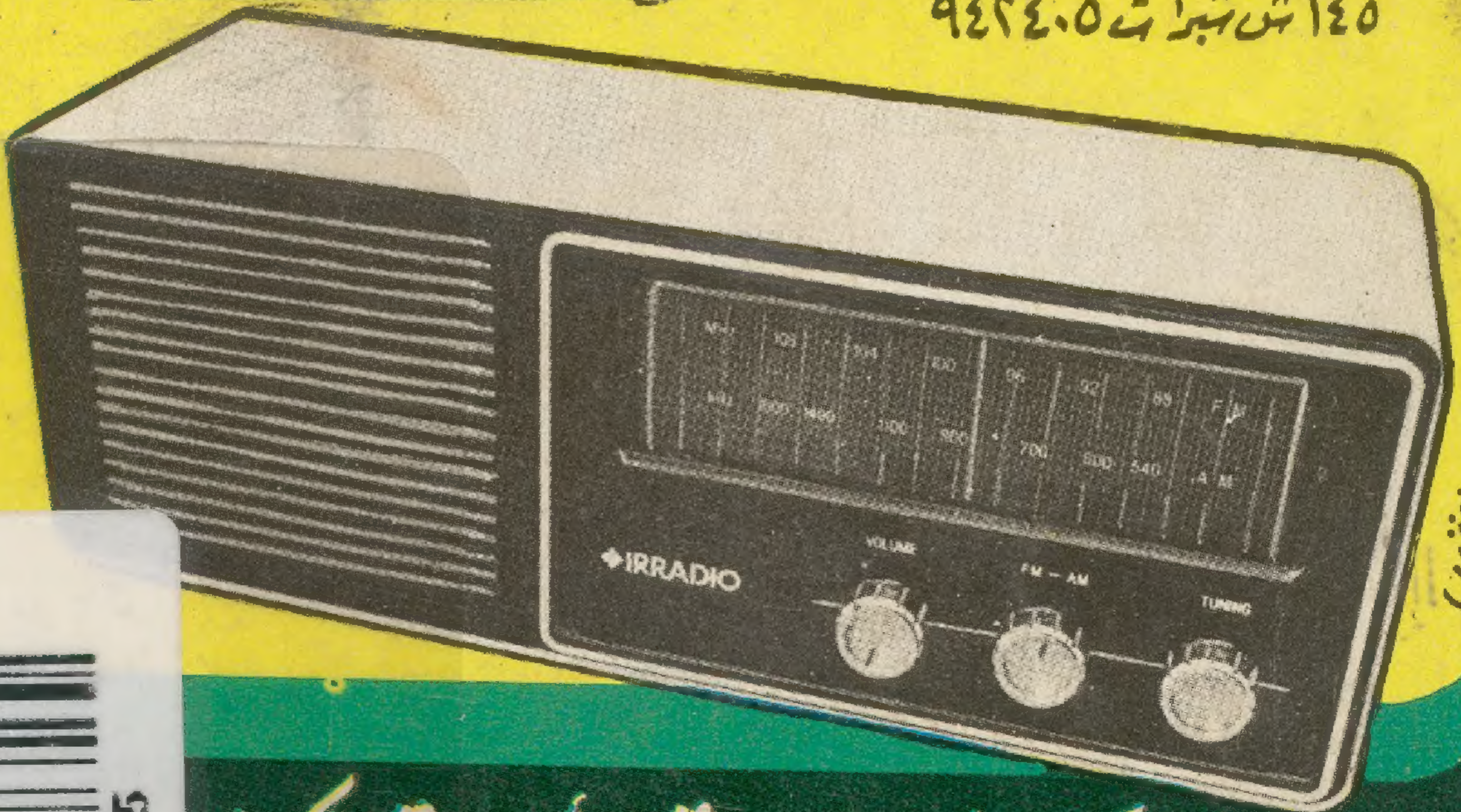
للسادة تجار  
الأجهزة الكهربائية  
ولأول مرة في جمهورية مصر

 GOLD STAR

كبرى الشركات العالمية المتخصصة في الإلكترونيات  
تليفزيونات ١٢ و ١٤ و ١٧ و ٢٠ بوصة



- راديوهات ٢ موجة
  - راديو ٢ موجة مزدوجة
  - بمؤقت وساعة كوارتز
  - بأسماء تحدي كل الأسعار
  - مركز خدمة مجهزة
- ١٤٥ ش. شبراخيت ٩٤٢٤٠٥



بجديد

الوكيل الوحيد الشركة المصرية للأجهزة الكهربائية  
١٥٩ شارع شبرا - تليفون ٤٢٤٠٥

٣٠ قرشاً

Bibliotheca Alexandrina



0324775

مكتبة الإسكندرية  
BIBLIOTHECA ALEXANDRINA